

جَنَّاك زهرة الأس
فج
بناء مدينة فاس

علي الجزنائي

تحقيق
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة
عضو أكاديمية المملكة المغربية



الطبعة الثانية
1411 هـ - 1991 م

المطبعة الملكية - الرباط

علي الجزنائي

جَنَّاك زهرة الآس فاج

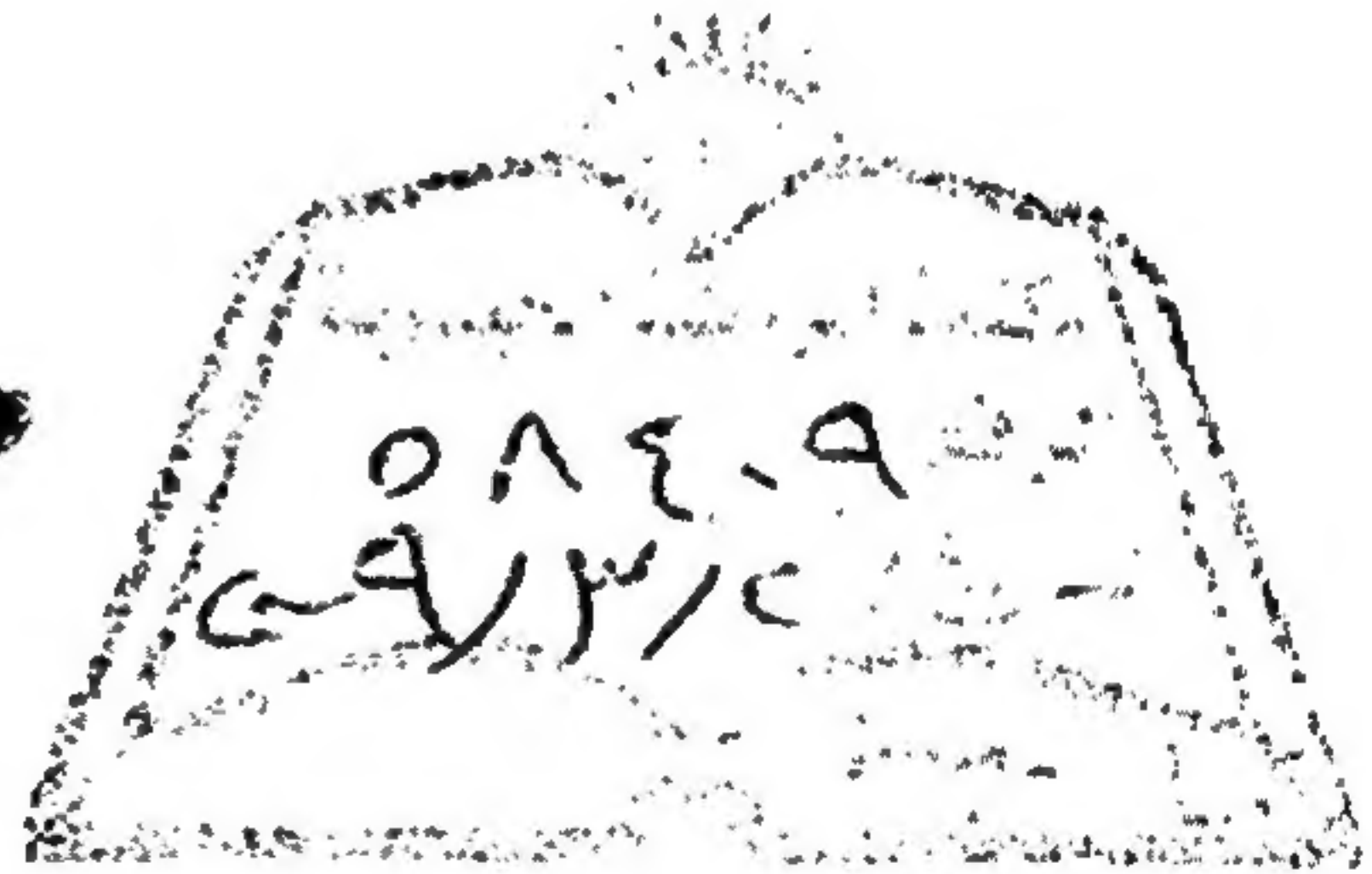
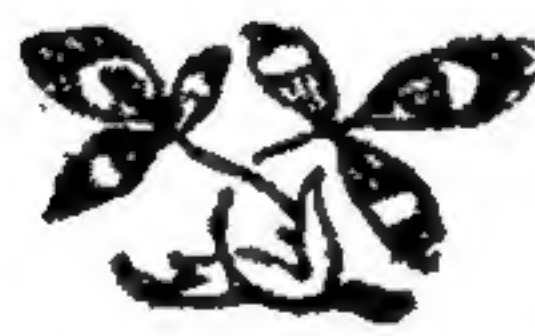
بناء مدينة فاس

تحقيق

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة

عضو أكاديمية المملكة المغربية



الطبعة الثانية

1411 هـ - 1991 م

المطبعة الملكية - الرباط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الكتاب ، وأول كلام الخلق
يوم الحساب ، وآخر دعوى أهل الثواب ،
وصلّى الله على سيدنا محمد المختار من لباب اللباب ، والرضا عن آله
وصحبه فأكرمهم بهم من آل وأصحاب ، ومدّ الله أيام هذه الوزارة السنية
العمرية (1) ما تكررت السنين والأحقاب .

وبعد فإنه لما كان - من شيم سيدنا الوزير السعيد ، الميمون الموفق
السديد ، المبارك الحميد ، الأعظم الأكرم ، الأثير الأفخم ، الأسعد الأضخم ،
الفارس البطل الشجاع الأحما ، الهمام الطاهر الأسما ، أبو علي (2) بن سيدنا
الوزير الكبير الشهير الجليل قدره الجميل أبو محمد عبد الله (3) بن علي
بن سعيد الياباني الذي سار مسير الشمس نكره ، وجلا في الآفاق والأسماع
ثناؤه الجميل وشكره ، وامتدت أبصار نوي البصائر إلى الوقت السعيد الذي (4)

(1) نسبة إلى الوزير عمر الياباني المؤلف له الكتاب.

(2) كنية كل من تسمى بالحسن ، وهذه الكنية توهم أن اسم الوزير المؤلف له الكتاب - الحسن ،
والحقيقة أن اسمه عمر ، انظر التقديم .

(3) كان وزيراً للسلطان أبي عنان نـ روضة النـرين صـ 28 . وانظر أيضاً (المسند الصحيح
الحسن) .

(4) من هنا تبدأ نسخة جلى زهرة الآمن المحفوظة بخزانة القصر الملكي بالرباط تحت
نـ 5155 .

تَجَلَّى فِيهِ بَدْرُهُ - تَعْرِفُ (5) تَوَارِيخُ الدُّوَل ، وَأَخْبَارُ الصُّدُورِ الْأَوَّلِ ، أُرِدْتُ أَنْ أَطَالَعَ وَزَارَتَهُ السُّنِّيَّةَ ، وَسِيَاسَتَهُ الْيَابَانِيَّةَ الْحَفْصِيَّةَ (6) أَسْعَدَ اللَّهُ أَعْصَارَهَا ، وَكَثُرَ أَعْوَانُهَا وَأَنْصَارُهَا ، بِكِتَابٍ مُخْتَصَرٍ يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ مَنْ أَسَّسَ مَدِينَةَ فَاسٍ كَلَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَدَارَةِ الْحُسْنِيِّينَ ، وَبِنَاءِ جَامِعِي الْقُرُوبِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ ، يَكُونُ تَذَكُّرًا لِمَنْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي ذَلِكَ سَبُوكَ ، وَتَبْصُرَةً لِمَنْ أَقِيمَ فِي خِدْمَةِ الْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ ، فَأَلْهِمَهُ إِلَيَّ ، وَسَهِّلْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ ، كُلَّ ذَلِكَ بِتَيْسِيرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرُكَّةِ هَذِهِ الْوِزَارَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي سَرَتْ الرِّفَاقَ فِي الْأَفَاقِ بِمُنَاقِبِهَا الْعَظِيمَةِ ، وَأَنَّهَا أَعْزَاهَا اللَّهُ لِلْوِزَارَةِ الَّتِي أَنْجَزَتْ لَهَا الْعَنَاءَ الْرِبَانِيَّةَ صَادِقَ مَوْعُودِهَا ، وَأَطْلَعَتْ أَهْلَةَ السَّعَادَةِ فِي أَسْعَدِ بَرُوجِ سَعُودِهَا ، وَعَلَتْ بِأَبِي عَلَيْهَا فَصَارَ كُلُّ أَيَّامٍ سَنِيهَا سَنَاءً وَشَهْرُهُ كَعِيدِهَا ، وَأَلْقَتْ وَزَارَتُهُ السَّعِيدَةَ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ مَقَالِيدَهَا ، وَرَفَعَتْ إِلَيْهِ أَحَادِيثَهَا الْحَسَنَةَ وَصَحَحَتْ أَسَانِيدَهَا ، وَجَرَّتْ السَّعَادَةُ أَنْيَالَهَا ، وَأَجَرَتْ فِي مِيدَانِ الْأَفْرَاحِ خِيُولَ الْإِقْتِرَاحِ فَمَدَّتْ مَدَاهَا فِيهِ وَمَجَالَهَا ، وَأَبَدَتْ عَلَيْهِ غُرَرَهَا وَحَجُولَهَا حِينَ أَجَالَهَا ، فَمَا وَنِي عَنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَلَا لَهَا ، فَلَمْ تَلِكْ تَصْلَحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلَحُ إِلَّا لَهَا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ اشْتَمَلَ أَعَزُّهُ اللَّهُ عَلَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَالْحَسْبِ الصَّمِيمِ ، وَحَازَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَشْرَفَ الْمَنَاصِبِ ، وَمِنَ النَّسَبِ الْعَرِيقِ مَا لَاحَ بِهِ قَمَرًا مُنِيرًا فِي أَرْقَى أَقْفَى الْمَنَاسِبِ ، وَكَانَ فِي طَيِّ هَذِهِ الْوِزَارَةِ الْمِيمُونَةِ مِنَ أُلْطَافِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ ، وَصَنَائِعِهِ الْحَفِيَّةِ ، مَا ظَهَرَتْ أَسْرَارُهُ ، وَبَهَرَتْ أَنْوَارُهُ ، وَعَلَّمَ الْعِبَادَ أَنَّ عَنَاءَ اللَّهِ بِهِمْ غَيْرُ مَقْطُوعَةٍ ، وَأَيَادِيهِ غَيْرُ مَمْنُوعَةٍ ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْحِلْمِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْمَهَابَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْحَنَانِ ، مَا صَارَتْ بِهِ تَضْرِبُ الْأَمْثَالِ وَتَسِيرُ بِحَدِيثِهِ الْحُسْنِ الصَّحِيحِ السَّيَّارَةِ وَالرَّكْبَانِ ، وَلَدِيهِ أَعَزُّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ الْعَزِيزَةِ التَّكْرَرِ ، الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ الْهَمَةِ وَشَرَفِ الْقَدْرِ ، مَا يَكَاثُرُ عَدَدُ الْقَطَرِ ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْعَدِّ وَالْحَصْرِ :

لَهُ هَمٌّ لَا مَنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمُّهُ الصَّغَرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

(5) اسْمُ فَاعِلٍ كَانَ الْوَارِدَةُ فِي أَوَّلِ الْجُمْلَةِ .

(6) الْيَابَانِيَّةُ نَسَبَةٌ إِلَى بَنِي يَابَانَ بْنِ كُرْمَاطِ بْنِ مَرِينٍ أَحَدِي قَبَائِلِ بَنِي مَرِينٍ ، وَأَفْخَاذُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ هِيَ : بَنُو عَلِيٍّ ، وَبَنُو عَيْنِيٍّ ، وَبَنُو وَرَنْكَالٍ ، وَبَنُو تَاشَغِينَ ، وَبَنُو عَزْمٍ ، وَبَنُو خَلْفِيٍّ . وَالْحَفْصِيَّةُ نَسَبَةٌ إِلَى أَبِي حَفْصٍ كُنْيَةُ الْوَزِيرِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَابَانِيِّ الْمَوْلُفِ بِرُمَعِهِ الْكِتَابِ .

والله تعالى يُعلي مقداره ، ويكتبُ في الصالحات آثاره ، ولكل ذي
نجوى وسيلة يقدمها بين يدي نجواه ، وخدمة يصدق بها عند الاختبار
دعواه ، فقدمتُ بين يدي نجواي هذه الخدمة بهذا الكتاب ، وأعددتُه وسيلة
نافعة ان شاء الله لحصول الطلاب ، والله يجعل موقع ذلك من هذه الوزارة
السعيدة الموقع الذي تجلّى فائدته ، وتحمدُ ان شاء الله عاقبته .

ويحتوي هذا المختصرُ على بابين ، والله يعصمُ من الزيغ والمين :

الباب الأول في ذكر مَنْ أسسها من الأدارسة الحسنيين ، وما جاء
من الثناء عليها وعلى سكانها عن العلماء المرضيين .

الباب الثاني في ذكر مَنْ أدارها بالأسوار وزادَ فيها الزيادات ،
ونكر جامعيتها العتيقين وما انتهت إليه من الدور والأرحى والحمامات .

الباب الأول

في ذكر مَنْ أسَّسها من الأدارسة الحسنيين
وما جاء من الثناء عليها وعلى سكانها من العلماء المرضيين

هذا الباب يستدعي الكلام على فضل الإقليم التي هي فيه وحدّ
أصقاعه وحكم أرضه وأول مَنْ افتتحه . وسبب قدوم وليّ الله وابن رسول
الله ادريس إليه ، وذكر عَقْبِهِ الذين أسسوا فاساً واستولوا عليها ، إلى غير
ذلك مما يتعلق به من التنبيه عليه ، والتذكير بما انضاف من الأمور إليه .

أما فضله فقد روي عن سفيان بن عيينة (7) عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : ان بالمغرب باباً للتوبة مفتوحاً مسيرته أربعون خريفاً
لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها . نقله ابن الرقيق (8)
وغیره .

وفي المصنفات الصحاح من رواية سعد بن أبي وقاص (9) وغيره
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على

(7) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي محدث الحرم المكي ، ولد بالكوفة عام 107 وكان
حافظاً ثقة واسع العلم حتى قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علمُ الحجاز وحج سبعين سنة ، وتوفي
عام 198 .

(8) ابراهيم بن القاسم المعروف بابن الرقيق من أهل القيروان ، مؤرخ أديب ، كان يلي كتابة
الحضرة في الدولة الصنهاجية ودام فيها نحو نصف قرن ، ورحل إلى مصر سنة 388 يحمل هدية من
باديس بن زيري إلى الحاكم ، وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح ، وصفه ابن رشيقي في (العمدة)
وقال عنه ابن خلدون في مقدمة تاريخه : مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان ولم يأت من بعده
إلا مقلد ، وأورد ياقوت في (معجم الأنبياء) أسماء كتبه ، ومنها (تاريخ إفريقيا والمغرب) في عدة
مجلدات ، توفي عام 417 هـ .

(9) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري الصحابي الجليل ، والقائد
البطل الشهير ، فاتح العراق ومدائن كسرى واحد السنة الذين عينهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه للخلافة ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . ولد بمكة سنة 23
قبل الهجرة ، وأسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، وشهد بدرأ وافتتح القاسمية . توفي بالمدينة سنة 55 هـ .

الحق حتى تقوم الساعة . ومن طريق آخر لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة .

وأهل الغرب هم أهل المغرب الذي هو ضد المشرق على أصح التأويلات وأوضح الدلالات .

وحقيقة المغرب هو المكان الواقع في شق الغرب ، قال أحد الشعراء :

الغرب شية مليح ولي دليل عليه
البدر يرقب منه والشمس تجري إليه

وحكى ابن جليل (10) في (طبقات الأطباء) ان ملك اليونانيين كتب إلى عامله بأرض بابل (11) ان يبعث إليه بأبقراط (12) الحكيم ، بتبجيل وتكريم ، وأمره أن يدفع إليه جملة من قناطير الذهب لينقله من الأرض التي بها مقامه إلى بلاد اليونانيين ، فأبى أبقراط من ذلك وامتنع ، وما ذلك إلا لفضل إقليمه على غيره ، وأرض بابل من الاقليم الرابع الذي قاس منه .

وحكى البرنسي (13) في كتاب (المغرب) له عن الجرجرائي وزير الظاهر لإعزاز دين الله ، أحد ملوك العبيديين ، أن الظاهر قال لوزيره :

(10) في نسخة الخزائن العامة بالرباط ونسخة دار الكتب المصرية : ابن عجلان ، والصواب انه ابن جليل ، وهو أبو داود سليمان بن حسان بن جليل الطبيب الأندلسي ، كان في أيام هشام المؤيد الأموي ، وخدمه بالطب ، وله بصيرة واعتناء بقوى الأدوية المفردة ، وقد فسر لها من كتاب ديستوريدس للعين زربي ، وأفصح عن مكنونها ، وأوضح مستغلق مضمونها ، ألف كتاباً كثيرة منها كتاب يتضمن نكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة ألفه لهشام بن الحكم ، فله هو الذي يشير إليه الجزنائي .

(11) مدينة ودولة ذات حضارة قديمة ازدهرت في وادي الفرات الأوسط أطلق العرب عليها اسم (أرض بابل) يتردد اسمها كثيراً في كتب الجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، وتكررت في القرآن الكريم في قصة الملكين هاروت وماروت ، واشتهرت بحياة البدخ التي كان يحييها أهلها حتى رويت في ذلك الأساطير . يروى ان آدم نزل بها عند خروجه من الجنة ، وان نوحاً سكنها عندما انحصر الطوفان ومنها تفرق أبنائه و (تبلبلت) ألسنتهم ، وهاجر إليها إبراهيم الخليل ، وفيها تزوج ودعا ملكها إلى عبادة الله . ومن أشهر ملوكها بختنصر الذي حكمها زهاء نصف قرن .

(12) أو بقراط ، ويعرف بأبي الطب ، طبيب يوناني وعالم طبيعي ولد بجزيرة كوس عام 460 ق. م.

(13) محمد بن حماد البرنسي اللعيني من أهل القرن السادس الهجري ، والمعروف ان كتابه لسمه (المقتهس) ، في أخبار المغرب وفاس والأندلس) وليس (المغرب) كما نكر المؤلف.

اني أريد أن أسمع كلامَ المغاربة ، فقال له : هنا شيخٌ يعرف بأبي مسلم الدقي ، فقال له : أسمعني كلامه ، فجلسَ الظاهرُ خلفَ حجابٍ وأحضرَ وزراء دولته ، ووجه عن الدقي ، فلما وصلَ سلمَ وقعدَ وتكلمَ معه بأشياء أضحكه بها إلى أن قال له الوزير : بلغنا أن الدنيا شُبِهُتْ بطائر ، فالمشرقُ رأسُه ، واليمنُ جناحُه الواحد ، والشامُ جناحُه الآخر ، والمغربُ ننبُه . فقال له أبو مسلم : صدقوا والطائر طاووس ! فضحك الظاهرُ وقال حسبُه وانصرف .

وأول بلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة وجبان ءاوتان في المشرق ، وهذه الجبال آخرُ عمل مصر ، وأولُ عمل القيروان ، وينقسم المغرب على ثلاثة أصقاع :

الصقع الأول هو موضع إفريقية من جبال برقة وءاوتان الى جبال نفوسة .

والصقع الثاني المغرب المتوسط وأولُه تاهرت الى سبتة الى جبل درن .

والصقع الثالث السوس الأقصا ، وحدُه في الغرب البحر الأعظم من ماسة الى صحراء المرابطين .

وهذا الاقليم الرابع هو الأوسط من الأقاليم السبعة التي رسمها حكماء الهند ، وهو أعمرها ، وفيه أرضُ بابل ، وجزيرة العرب ، وبقية بلاد البربر في أقصا الغرب ، وبعض مدن جزيرة الأندلس كإشبيلية وقرطبة وغرناطة . والمرية ومرسية ، وفيه بغداد ، فلاعتداله اعتدلت أبدانُ أهله ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغلظ الترك ، وجفاء أهل الجبال ، وتامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الخلقة اعتدلوا في الفطنة والذكاء والعلم ، ذكر ذلك صاحب (المدھش) وغيره .

وهذا الاقليم عند الحكماء كريم البقعة ، طيب التربة ، مخصبُ القاعة ، كثيرُ العيون والأنهار العذاب ، قليلُ الهوام ذوات السموم ، معتدلُ الهواء في الفصول الأربعة على قدر متقارب من الاعتدال ، تتصلُ فوائده وفواكهه في كل الأزمنة .

وأما حكم أرضه فقال أبو الحسن ابن القاسي (14) في (شرح موطأ مالك) رحمه الله من كتاب الجهاد : اختلف الناس في أرض المغرب هل افتتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة على ثلاثة أقوال : الأول الذي يظهر من رواية ابن القاسم عن مالك أنها فتحت بالسيف عنوة ، لأنه جعل في المعادن النظر للإمام ، ولو صح ذلك لم يجر لأحد بيع شيء منها كأرض مصر وطنجة لأنها افتتحت بالسيف ، الثاني قيل صلحا صالحوا عليها أهلها ، فإن كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض . الثالث قيل انها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فتركوها ، فمن بقى بيده شيء كان له ، وهو الصحيح ، والله أعلم .

وقال الداودي في كتاب (الأموال) له بعد بسط كلام في ذلك أن الذي يوجب النظر فيها أن تجري على ما تواتر عليه القرون الماضية في أمرها ، وتقر بأيدي مالكيها إلا ما تواترت فيه الأخبار أنه اغتصب أو جلا عنه أهله .

وقال التادلي الحافظ : إن أرض المغرب أسلم عليها أهلها .

ويحكي أن أحد عمال المنصور بن أبي عامر حين تغلب على أرض فاس قال لهم : أخبروني عن أرضكم أصلح هي أم عنوة ؟ فقالوا له لا جواب عندنا حتى يأتي الشيخ ، يعنون أبا جيدة ابن أحمد اليزعتي (15) ، فجاء أبو جيدة فسأله فقال ليست بصلح ولا عنوة ، إنما أسلم أهلها عليها . فقال لهم خلصكم الرجل ! .

وأبو جيدة هو المدفون بخارج باب بني مسافر (16) أحد أبواب مدينة فاس ، والدعاء عند قبره مستجاب (17) ، وله نفع الله به كرامات من أراد الوقوف عليها فليطالع كتاب (المستفاد، في ذكر الصالحين من فاس والعباد)

(14) علي بن محمد بن خلف المعافري أبو الحسن المعروف بابن القاسي ، أحد أعلام مذهب مالك، كان واسع الرواية ، عالماً بالحديث وعلمه ورجاله ، فقيهاً أصولياً متكلماً مؤلفاً مجيداً ، وكان أهل القيروان يفضلونه ويأخذون عنه ، وهو من شيوخ أبي عمران الفاسي ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب (ملخص الموطأ)، توفي بالقيروان سنة 403 وقد بلغ الثمانين ودفن بباب تونس .

(15) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس 3 : 92 .

(16) هو الباب المعروف اليوم بباب سيدي بوجيدة .

(17) تعتقد النساء بالخصوص أن المرأة التي تخلص النية والخدمة لهذا الصالح يطيعها زوجها ، حتى صار يقال بفاس عن كل من سمع كلام زوجته ويعمل برأيها إنه يخدم سيدي بوجيدة . ولهذا نجد أن أكثر الداعيات عند قبره من النساء .

الذي ألفه الشيخ الرواية محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بالكتاني (18) .

وأما سبب نزول البربر في أرض المغرب من أرض فلسطين من الشام ، فإن ملكها جالوت لما قتله داوود عليه السلام جلت البربر إلى المغرب فتفرقت في تلك البلاد من موضع القيروان إلى ساحل البحر الأندلسي ، وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم ، فجئت الروم أمامهم إلى صقلية ، وهي جزيرة عظيمة في البحر تحاذي بلاداً إفريقية ، ثم رجع الأفارقة من الروم إلى مدائنهم على صلح من البربر ، إذ كرهت البربر نزول المدائن ، فنزلوا الجبال والرمال والوهاد ، لكونهم أصحاب إبل وغنم وبقر ، وسكان بيوت أدم وشعر ، فعادت المدن رومية ، والجبال والصحاري بربرية ، وهم يومئذ على أديان مختلفة .

ثم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفاء الراشدين : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، رضي الله عنهم ، وصدر من دولة بني أمية ، ولئى يزيد بن معاوية منهم عقبة بن نافع الفهري (19) على بلاد المغرب في سنة اثنتين وستين من الهجرة ، واستفتح بعضه إلى أن بلغ البحر الأعظم حيث ماسة (20) وأدخل فيه قوائم

(18) ترجمه ابن القاضي في جنوة الاقتباس ص 137 ونكر أنه توفي في العشر الأواسط من ذي الحجة سنة 595 ودفن خارج باب عجيبة . أما الكتاب فاسمه الكامل (المستفاد) في مناقب الصالحين والعباد ، من أهل مدينة فاس وما والاها من البلاد) ، انظر ما ورد من الخلاف في نسب المؤلف ووفاته في دليل مؤرخ المغرب الأقصا 1 : 61 .

(19) عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري فاتح المغرب الشهير ، وأحد كبار القادة في صدر الإسلام . ولد في حياة النبي (ص) قبل الهجرة بسنة ، ولا صحبة له ، وشهد فتح مصر ، وكان ابن خالة عمرو بن العاص ، فوجهه إلى إفريقية سنة 42 هـ والياً ، فافتتح كثيراً من تخوم السودان وكورها في طريقه ، فولاه معاوية إفريقية استقلالاً سنة 50 هـ فأوغل فيها حتى أتى وادي القيروان فأعجبه فبنى فيه مسجده ثم شرع في بناء المدينة ، وعزله معاوية سنة 55 فعاد إلى المشرق ، ثم أعاده يزيد بن معاوية إلى الولاية سنة 62 وهي التي يشير إليها الجزائري . فخرج منها بجيش كثيف فتح به حصوناً ومدناً كثيرة بقران والزلب وتاهرت ، ثم تقدم إلى المغرب الأقصى ففتحها حتى بلغ البحر المحيط ، ثم عاد إلى القيروان فلما كان بنهودة - وكان في عند قليل من جنده - طمع به خصومه من بربر وروم فأطبقوا عليه وقتلوه وتم معه بها سنة 63 هـ .

(20) اسم لمدينة عتيقة انتشرت اليوم كانت تقع جنوب أجدير من إقليم سوس ، ولم يبق ينكر بها إلا النهر المسمى باسمها والمقننر إليها من الجبال الواقعة إلى الجنوب وإلى الشرق منها ، وعلى مصب هذا النهر بالمحيط الأطلسي يوجد رباط مقدس يسميه السكان سيدي رباط . ولعله يوجد في المكان الذي كانت توجد فيه مدينة ماسة . وقد وصف صاحب (الاستبصار) هذا الرباط بأنه مقصود وله موسم عظيم ومجتمع جليل وهو مأوى للصالحين ، ويعتقد سكان تلك الجهة أن الحوث أنقى النبي بونس بمصنّب نهر ماسة ، وأن من تلك الجهة يخرج المسيح الدجال ويظهر المهدي المنتظر . وعلى ضفة هذا الوادي تسكن اليوم قبيلة أهل ماسة الصغيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف .

فرسبه (21) ثم جعل يقول : وعليكم السلام ، فقال له أصحابه : على من تسلم يا ولي الله ؟ فقال لهم : ان قوم يونس عليه السلام سلموا علي فسلمت عليهم ، ولولا البحر لأريتكم إياهم ، وأسلم إذ ذاك على يديه بعض من بالمغرب ، وحين رجع منه ارتد بعض من أسلم . ثم ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم - موسى بن نصير (22) على المغرب أيضاً في سنة اثنين وتسعين ، وسار فيه حتى بلغ طنجة وسبتة ، وجاز لبر الأندلس ، واستفتح مع مولاة طارق بن زياد (23) وأسلم على يديه أيضاً بعض من بالمغرب ، وحين رجع منه ارتد أيضاً بعض من أسلم ، إلى أن أراد الله ظهور الإسلام في سائر أقطار المغرب حتى لم يبق منه موضع إلا وعبد الله فيه بسبب قدوم ولي الله وابن رسوله الصالح ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كذا استقرىء من كلام البكري (24) وغيره .

(21) في الاستقصا 1 : 82 ان ذلك كان بساحل أسفي .

(22) موسى بن نصير بن عبد الرحمان بن زيد اللخمي بالولاء ، أصله من رادي القرى بالحجاز ، ولد سنة 19 هـ وكان أبوه نصير على حرس معاوية ، وتشا موسى بدمشق ، وولى غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرس وبنى بها حصوناً ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك ولاء إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب سنة 88 هـ فاستقر باتقيرران ، وبعث أبناءه لتمهيد البلاد ، وولى طارقاً مولاة طنجة ، وكان فتحها وأسلم أهلها ، ثم أمره بغزو الأندلس فافتتحها ولحق به موسى وقد دخلته منه غيرة ، فأنم فتح الأندلس ، ثم استقدم الخليفة الوليد موسى سنة 96 هـ فذهب إلى دمشق والوليد في مرض موته ، فلما ولي سليمان استبناه عنده ، وقيل نكبه وعزله ، ومات موسى سنة 97 وكان شجاعاً عافلاً كريماً تقياً .

(23) طارق بن زياد اللبني بالولاء ، فتح الأندلس الشهير ، أسلم على يدي موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله ، ولما فتح موسى طنجة ولاء عليها سنة 89 هـ فأقام فيها إلى سنة 92 ثم غزا الأندلس على رأس جيش يتألف من نحو 12000 مقاتل ، معظمهم من البربر ، فعبز المضيق المنسوب إليه الفاصل بين المغرب وإسبانيا ، ونزل البر المقابل واحرق مقلته وخطب في جنوده خطبه الشهير ، ثم تغلغل في داخل الأندلس ، واستولى على كثير من معاقلها وحواضرها ، كإشبيلية وقرطبة ومطليطة ، وبعد ذلك لحق به موسى بن نصير الذي يظهر أنه غار مما فتح الله عليه ، فعاقبه بالعزل من القيادة ، ثم أصلح الخليفة الوليد بن عبد الملك ذات بينهما فعاد طارق إلى إفزرو ، فافتتح طرطوشة وسرططة ودانية وبلنسية وشاطبة ، ثم استدعاه الوليد إلى الشام فقصده مع موسى سنة 96 . وأقرأ المؤرخين مضطربة في خاتمة أعماله ، ولد حوالي سنة 50 هـ وتوفي سنة 102 هـ .

(24) أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري نسبة إلى بكر بن وائل ، مؤرخ جغرافي أندلسي ، عالم بالأنب والنبات ولد في شلطيخ غربي إشبيلية ، ثم انتقل إلى قرطبة ، ثم صار إلى المربة ، ثم عاد إلى قرطبة بعد استيلاء المرابطين على الأندلس ، وبها توفي سنة 487 عن سن عالية ، له مؤلفات كثيرة ، منها كتاب (المسالك والممالك) الذي طبع الجزء المتعلق منه بالمغرب تحت اسم (المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب) و (معجم ما استعجم) في أربعة أجزاء ، و (أعلام النبوة) و (شرح الامالي) لأبي علي القالي و (أعيان النبات) الخ .

وكان سببُ قدوم وليّ الله الصالح ادريس من المشرق الى المغرب على ما حكاه محمد بن جرير الطبري (25) وغيره أن اسحاق بن عيسى الأمير بالمدينة وفدَ على الخليفة موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور واستخلف عليها محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فظهرَ منه مخالفة في أحكامه ، فغيرَ ذلك عليه الحسين بن علي بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورفضَ الناسُ أمرَته ، واستدعوا حسينا للبيعة ، فجلسَ على المنبر وعليه عمامة بيضاء ، وكان الناسُ يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام ، وجاء خالد البربري في مئتين من الجند فقاتل الحسين ، فقام إليه أبناء عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهما يحيى وادريس فضربه يحيى على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه ، فشرقت عيناه بالدم فلم يبصر ، فنزل وجعل يدب بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر ، واستدار له إدريس من خلفه فضربه وصرعه ، وعلواه بأسيا فهما حتى قتلاه ، ثم قاتل بالمدينة شيعة بني العباس وجاء برمك التركي فأغاثهم ثم تركهم ، وأقام حسين بالمدينة أحد عشر يوماً وأصحابه بالمسجد فغدروه ولحق بمكة ، وكان وفد للحج في تلك السنة محمد بن سليمان بن علي بن محمد بن عبد الله بن العباس ، والعباس بن محمد بن علي ، وموسى بن عيسى في أربعة آلاف فارس ، وعلى الموسم سليمان بن أبي جعفر المنصور ، فأتوا ذا طوى (26) وقد ورد كتاب الهادي بتولية محمد بن سليمان الحرب ، فوجة محمد ابا كامل مولى اسماعيل بن علي ، فلما رأى القوم صار معهم فظفر به فقتل ، ثم قاتل محمد بن سليمان الحسين فهزمه وقتله ، وقتل أكثرَ من كان معه ، وأقاموا ثلاثة أيام لم يواروا حتى أكلت لحومهم الطير والسباع . وكان ذلك بفتح ، وهو موضع فيه موية (27) على مسيرة ثلاثة أميال من مكة شرقها الله تعالى ، وكانت هذه الواقعة في يوم السبت ،

(25) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المؤرخ المفسر الامام ، ولد في آمل طبرستان عام 224 واستوطن بغداد وتوفي بها عام 310 ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، له (أخبار الرسل والملوك) - روف بتاريخ الطبري ، و (جامع البيان ، في تفسير القرآن) المعروف بتفسير الطبري وغيرهما ، - من نقات المؤرخين .

(26) وإد قرب مكة يستحب للداخل اليها أن يغسل فيه .

(27) تصغير ماء .

وصادفت يومَ التَّرويةِ الثَّامنَ لشهر ذي الحجة من سنة تسع وستين ومئة (28) . وحضرت الوفاة بعد محمد بن سليمان قاتل حسين ، فجعل جلساؤه يلقنونه الشهادة وهو يقول :

ألا ليت أُمِّي لم تلدني ولم أكن لَقِيْتُ بَفُحْ لا حسيناً ولا حسن

وفي هذه الواقعة أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما حكاه المظفري ، وأنشد في ذلك بعض شعراء الوقت :

فلا بُكَيْنَ على الحسينِ بعد	ولةٍ وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة (29) الذي	تركوه ليس بذِي كَفَن
تركوا بفح غدوة	في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً قتلوا	لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة بعهدهم	غسل الثياب من الدرن
هُدِي العبادُ بجدهم	فلهم على الناس المنن

وصار إدريس رضي الله عنه مع مولاه راشد (30) الى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور ، فحملة على البريد إلى

(28) الذي عند ابن أبي زرع في (الأتيس المطرب بروض القرطاس) ان الذي ثار على بني العباس وقتل بفح هو الامام محمد النفس الزكية آخر الامام ادريس الأول ، وتبعه في ذلك من قلده من مؤرخي المغرب كابن الخطيب وابن خلدون ، اما رواية الجزنائي المنقولة عن الطبري فهي رواية الامام يوسف سبط ابن الجوزي في كتاب (تذكرة الخواص) والحافظ محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني في (نظم الدر والعقيان) ، والجلي في (الدر النفيس) ، وقد أخطأ ابن أبي زرع في اسم الخليفة العباسي الذي جرت الواقعة في أيامه .

(29) هي عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة زوج الإمام عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ، ووالدة الإمام ادريس الأول وأخويه سليمان وعيسى ، وصفوها بأنها كانت صوامع قوامه جميلة .

(30) راشد بن منصة الاربعي مولى الامام ادريس الأول ، اختلف في أصله ، فقل من العرب المولدين ، وقيل حبشي ، وقيل انه بربري من قبيلة وربة (أوربة) سبي مع أبيه منصة في غزو موسى بن نصير ونقل معه الى المشرق . وهو الذي قام بأمر الدولة بعد وفاة سيده وكفل الامام إدريس الثاني الى أن شب وترعرع ، وكان بطلاً شجاعاً ، وقائداً محنكاً ، وسياسياً ماهراً ، توفي سنة 186 ودفن بالقرب من ضريح الامام ادريس بجبل زرهون في الجهة الجنوبية يمين الخارج للمزاراة العليا من الجامع الكبير هناك .

الغرب ، فوق بحومة بلاد طنجة ، ثم الى بلد وليلة (31) قاعدة زرهون ، واستجابت له قبائل البربر ، وعلا امره وشاع خبره ، وهذه البلدة قديمة البناء ، يذكر أنها من بناء القبط ، وهي المعروفة الآن بقصر فرعون ، من أرض اولاد تعلقو الأوربيين ، وهي متوسطة بين العمارات ، خصيبة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم قد بقي بعضه ، وفيه عبرة للمعتبرين.

ولما وصل إدريس رضي الله عنه الى بلد وليلة نزل على صاحبها إسحاق (32) بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، فأقبل عليه وأكرمه وبالغ في بره ، وكان نزول إدريس رضي الله عنه بوليلة في أول شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومئة . فأقام عنده والناس يفدون عليه إلى أن دخل شهر رمضان السنة ، فبايعه جميع قبائل البربر ، ولما تمت له البيعة وتمكن سلطانه وعلا شأنه اتخذ جيشاً عظيماً من قبائل البربر ، وخرج بهم الى بلاد تامسنا (33)

(31) في الأصل وليلي ، وهي مدينة عتيقة راقعة في السفح الجنوبي لجبل زرهون ، على بعد 28 كلم من شمالي مكناس ، يظن بعض المغاربة - كما ذكر ذلك المؤلف - أنها من بناء القبط حتى سموها قصر فرعون ، والحقيقة أن مؤسسها الأولين غير معروفين ، ولكنها كانت معروفة قبل مجيء الرومان الى المغرب ، وكانت من عواصم الملك البربري جوبا الثاني (25 ق . م 23 أو 24 ب . م) ملك موريثانيا ، وبعد الاحتلال الروماني (40 - 45 ب . م) أصبحت وليلة (فولوبيليس) حاضرة من حواضر موريثانيا التنجيتية (الطنجية) وكان يقيم بها الحاكم الروماني للاقليم ، ثم بدأ شأنها يضعف في نهاية القرن الثالث الميلادي بعد وفاة الإمبراطور بروبروس (276 - 281 م) ولكنها لم تخل نهائياً ، بل ظلت مسكونة من طرف البربر الى نهاية القرن الثامن الميلادي ، وعرفت في هذه الفترة باسم وليلة ، ومن الناس من يكتبها وليلى بكسر اللام أو فتحه ، ثم انتعشت قليلا عند دخول الاسلام واستقرار الامام إدريس الأول بها ، ولكنها لم تلبث أن خلت وخربت بعد انشاء ابنه الامام إدريس الثاني لمدينة فاس .

وتبلغ مساحة وليلة أربعين هكتاراً ، ويبلغ طول السور الذي يحيط بها 2350 متراً ، يتخلله نحو 40 برجاً ، وهي الآن من أهم المشاهد الأثرية بالمغرب ، وقد أزاح الأسارى الألمان خلال الحرب العظمى الأولى التراب عن 15 هكتاراً من مساحتها ، ورممت مصلحة الآثار بعض هياكلها ، ولا يزال الطرف الأكبر من المدينة تحت الردم الى الآن .

(32) في بعض المراجع : عبد المجيد الأوربي .

(33) البسيط الممتد من وادي أبو رقراق الى وادي أم الربيع ، وهو بسيط الشاوية وما جاوره ، وقد انما هذا الاسم الآن ، وبقيت بعض الأسر المغربية منسوبة اليه (المنصاري) .

ففتح شالة (34) وسائر تلك الحصون ، وسار إلى تادلة (35) فافتتح حصونها إلى أن بلغ ماسة ، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ، والاسلام بها قليل ، فأسلم جميعهم على يديه ، حتى لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه ، وقد فتح الصحابة ومن بعدهم جملة من البلاد ، وأبأ الله بدولة الاسلام دولة الفرس في العراق وخراسان ، ودولة الروم بالشام ، ودولة القبط بمصر ، وأوائل الهند ، وأقصى الأندلس ، وبلاد الترك ، وذلك مما أخبر الرسول عليه السلام أن يكون ، فإنه جاء في الصحيح أنه قال : رُوِيَثُ الْأَرْضُ فَأَرِيْتُ مُشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيَبْلُغُ مَلِكُ أُمِّي مَا رُوِيَ لِي مِنْهَا .

(34) شالة : اسم حاضرة مغربية عتيقة تقع على نهر أبي رقراق غير بعيدة عن مصبه في المحيط الأطلسي حيث المدينتان التاريخيتان : سلا والرباط ، كانت في الأصل قرية بربرية ، ولتأ بها القرطاجنيون متجراً عرف في عهدهم باسم ملقبس ، ثم احتلها الرومان وسموها سلا - كولونيا ، وكانت نهاية مدى ما امتد إليه نفوذهم من أرض المغرب ، واستمرت شالة مستعمرة رومانية مدة تقرب من خمسمئة عام إلى أن ضعف أمر الرومان فتدهورت وخربت ، يقال أن الوانداليين هم الذين خربوها أثناء عبورهم إلى المغرب ، على ما في عبورهم ومرورهم بالمغرب من ارتياب . ولما فتح عقبة بن نافع المغرب بعد سنة 62 هـ أسلم أهلها على يديه ، ثم ارتكوا بعد قتله في تهودة إلى أن أسلموا مرة ثانية على يد موسى بن نصير . ثم افتتحها الامام اندريس وتداول ملكها بنوه من بعده إلى أن انتزعها منهم موسى بن أبي العافية سنة 317 . وفي أواخر القرن الرابع الهجري سارت عاصمة اليفرنيين ، وخلال الحروب التي جرت بين برغواطية والمرايطين خربت شالة ، وفي هذا التاريخ زارها الجغرافي المغربي الشهير الشريف الانريسي ووصفها بأنها خراب وبها بقايا بنيان وهياكل سامية . ولما أسس الموحدون الرباط ازداد خراب شالة إذ انتقل إليه سكانها وحرفها وصنائعها ، وقد حاول المرينيون بعدهم تجديد بناءاتها فأداروها بأسوار وبنا بها مدارس ومساجد واتخذوها مدفاً لملوكهم وأعيانهم ، ولكن ذلك لم يعد إليها الحياة . وقد ابتدأ العمل في بداية هذا القرن - في رفع أنقاضها وترميم آثارها ، ثم توقف واستأنف في السنين الأخيرة .

(35) تادلة : اسم إقليم شهير بوسط المغرب ، قاعته قصبة تادلة الواقعة على أم الربيع جنوبي خنيفرة وشمال بني ملال لعب دوراً كبيراً في تاريخ المغرب ، إذ به كانت تمر الطريق الرابطة بين فاس ومراكش ، وبين الشمال والجنوب عبر جبال الأطلس المتوسط ، ينسب إليه كثير من العلماء والصلحاء والقادة ، وتكتب تادلة تارة بالتمام وتارة بالآلف المقصورة ، (تادلا) ، فلذلك كان المنسوب إليها تادلي وتادلوي .

ولما نزل ادریس رضي الله عنه بخارج تلمسان (36) وأتاه أميرها محمد بن خزر المغراوي الخزري وبأيعه من هناك من القبائل ، ودخل تلمسان ، واستقلت له امارة المغرب بأسره اتصل ذلك بالرشيد وخاف واغتم لذلك ، وخشي أن يتوجه لأفريقيا فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث اليه الرشيد من يغتاله ، واختار لذلك سليمان بن جرير البجلي (37) ، فخرج اليه من بغداد حتي وصل المغرب ، وقدم على ادریس بمدينة وليلة ، فسلم عليه سليمان ، وسأله ادریس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وما سبب قدومه الي المغرب ؟ فذكر له أنه من بعض موالی أبيه ، وأنه اتصل به خبره فأتاه برسم خدمته لأجل محبته لأهل البيت اذ لا يعدل بهم أحد ، ولا يقاس بهم سواهم ، فأنس به ادریس وسكن الي قوله وسراً به ، فكان ادریس لا يقعد ولا يأكل ويشرب الا معه ، ولم يزل يرتقب الفرصة ويعمل الحيلة في قتله ، فلم يجد لذلك سبيلا لموالاة مولاة راشد الذي لا يزايله ولا يفارقه ، الي أن غاب راشد ذات يوم في بعض شؤونه ، فدخل اليه سليمان فوجده وحده ، فقال له : ياسيدي جعلت فداءك ! اني جئت من المشرق بقارورة طيب لأطيب بها ، ثم اني رأيت أن الامام أولى بها مني ، فخذها لتطيب بها ،

(36) تلمسان : مدينة اسلامية شهيرة بغرب المغرب الأوسط (الجزائر) تبعد 138 كلم عن مرسى وهران جنوباً و 80 كلم عن وجدة شرقاً ، تقع في السفح الشمالي للجبل المنسوب اليها على ارتفاع 800 متر فوق سطح البحر الأبيض . وتنبسط أمامها سهول خصبة جيدة التربة ونحيط بها الحدائق والجنات والغروس والمزارع من كل جانب ، يزعم كثير من المؤرخين انها احدى المدن السبع القديمة ، وانها مدينة الجدار المشار اليها في القرآن في قصة موسى والخضر . كانت في الأصل قرية بربرية تدعى اكدير ، ثم احتلها الرومان وانشأوا بها معسكراً سموه (بومارية) ، ولما جاء الاسلام افتتحها أبو المهاجر دينار المخزومي سنة 55 هـ وهزم حولها الأمير البربري كسيلة البرنسي ، ثم دخلها عقبه في ولايته الثانية للمغرب ، ومر بها الامام ادریس الاول في طريقه الي المغرب الأقصى ، ومن تلك التاريخ علا صيتها وتبحر عمرانها وازدهرت الثقافة والعلم فيها ، وأصبحت أهميتها الدينية والثقافية والسياسية بالنسبة الي المغرب الأوسط مثل أهمية فاس ومراكش بالنسبة الي المغرب الأقصى ، والفهروان ونونس بالنسبة الي المغرب الأدنى ، ولما انفرط عقد اتحاد أقطار المغرب العربي في القرن السابع الهجري على اثر ضعف أمر الموحدين بعد غزوة العقاب قصدها بنو عبد الوادي الزناتيون وانشأوا بها دولة وجعلوها عاصمة ملكهم وظلوا طوال ثلاثة قرون يتجانبون حبل ملكها مع بني عمهم مريين ملوك المغرب الأقصى الذين أنشأوا فيها المباني الرفيعة ، الي ان استولى عليها الاتراك العثمانيون عام 952 هـ طلت نعت حكمهم الي أن انتزعها منهم الفرنسيون في فاتح سنة 1836 الميلادية ، وبعد ذلك عمها ما هم ملوك مدن القطر الجزائري وقراء من الاحتلال الفرنسي الي أن تحرر منه ونال حريته سنة 1962 .

(37) ويعرف أيضاً بسليمان الشماخ ، وسماه البكري (ص 120) بسليمان بن حريز الجزري ، ووصله بأنه كان رجلاً من ربيعة ، وممن يرى رأي الزيدية ، وكان حلواً شجاعاً أحد شياطين الانس .

فقد أثرتك بها علي ، ثم أخرجها من وعاء ، ووضعها بين يدي ادريس ، فأخذ ادريس القارورة ففتحها وشمها ، فلما رآه سليمان فعل ذلك وتحصل له مراده منه وتمت حيلته ، جعل يتسلل من المجلس ، وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان ، فسار الى منزله وركب فرساً له من سباق الخيل كان قد أعده لذلك ، وخرج من ليلة يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة ، فحين استنشق ادريس الطيب الذي بها صعد السم في خياشيمه وانتهى الى دماغه فغشي عليه وسقط ميتاً رحمه الله ورضي عنه (38) ، وذلك في منسلخ شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومئة ، فكانت أيام دولته سنتين وثمانية أشهر على ما حكاه البكري في مسالكة .

قال شاعرهم فيما حكى المظفري :

أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مَفَلْتَ	كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يَقِيكَ فِرَارُ ؟
فَلْيُدْرِكْكَ أَوْ تَحُلَّ بِلَدَةٍ	لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ قَرَارُ
إِنَّ السَّيْفَ إِذَا انْتَضَاهَا سَخَطَهُ	طَالَتْ فَقَصُرَ دُونُهَا الْأَعْمَارُ
مَلِكٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ يَتَّبِعُ أَمْرَهُ	حَتَّى يَقَالَ تَطِيعُهُ الْأَقْدَارُ

ودُفِنَ ادريس رضي الله عنه بخارج باب ليلة (39) ، ولم يزل الناس يعتنون بزيارة قبره ، ويدعون الله في الحاجات فيستجاب لهم ، وظهر جسده بكفنه في سنة ثمان عشرة وسبعمئة ، وازدحم الناس عليه من سائر أقطار المغرب حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك ، فبعث مولانا أمير المسلمين أبو سعيد (40) بن يعقوب بن عبد الحق قبل الله أعماله جيشاً لتفريقهم عنه وتحسيم الفتن . كذا وقفت عليه في أمر سلطاني يقتضي ذلك .

ولما توفي الامام إدريس رضي الله عنه ترك جارية له مؤلدة من بلاد البربر اسمها كنزة حاملاً في السابع من أشهر حملها ، وحين دنا وضعها ولدت ولداً ذكراً أشبه الناس بأبيه ، وذلك في رجب سنة خمس وسبعين ومئة ، فسمي باسم أبيه ، وقام راشد بأمره وأمر البربر ، وكفله الى أن فطم وشب ، فأدبه أحسن أدب ، وأقرأه القرآن فحفظه وله من السن ثمانية أعوام ،

(38) اختلفت الروايات في كيفية اغتيال سليمان بن جرير للامام ادريس ، فقيل انه سمه في سنون ، وقيل في شابل ، وقيل في عنب ، وقيل في دلاح ، ورواية الجزنائي ، أشهر .

(39) هذا يوقع في إشكال ، لأن قبر الامام ادريس الأول لا يوجد في ليلة ، وإنما في زاوية تبعد عنها خمسة كلومترات . والصواب ما ذكره ابن أبي زرع في (الأنيس المطرب بروض القرطاس) - وهو متقدم على الجزنائي - من أنه دفن بقربها . ظ القرطاس ص 10 .

(40) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، ولد عام 675 وبويع عام 710 وتوفي عام 731 .

وعلمه السنة والفقه والشعر وأمثال العرب وحكمها ، وسير الملوك وسياستها ، ودرجه على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكائد الحروب . ولما كمل له من السن احدى عشرة سنة أخذ له مولاد راشد البيعة من سائر قبائل البربر ، فبويع له بجامع مدينة وليلة في يوم الجمعة مهل شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين ومئة . فقد بان لنا من هذا أن مدة بقية حمل أمه به بعد وفاة والده ومدة كفالة راشد له عشر سنين وعشرة أشهر . وحين أخذت له البيعة صعد المنبر ليخطب الناس في ذلك اليوم فكان مما قال :

الحمد لله أحمدته وأستغفره ، وأستعين به وأتوكل عليه ، وأعوذ بالله من شر نفسي وشر ذي شر ، وأشهد أن لا اله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الى الثقلين بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بائنه وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس انا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن والحمد لله على طريق قصد فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا ، فان الذي تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا .

ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعة الله وطاعته ، فعجب الناس من فصاحته وبيانه ورصانة عقله وبلاغته ، ثم نزل فسارع الناس الى بيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه ، فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة (41) ووربة (42) ،

(41) زناتة : جيل عظيم من البربر تنسب اليه قبائل كثيرة بأقطار المغرب ، وهو أشبه شعوب البربر بالشعب العربي ، وجل نسبته يرجع أصله الى العرب ، وكان المغرب الأوسط أكثر المواطنين التي عمرها هذا الجيل حتى لقب بوطن زناتة . تراجع اخبار قبائله وما تقلب بعضها فيه من الملك والامارة في الجزء السابع من تاريخ ابن خلدون .

(42) وربة : قبيلة شهيرة من البربر البرانس ، كانت في القديم تشمل على بطون وعمائر كثيرة مثل بجاية ، ونفاسة ، ونقحة ، وزهكوجة ، ورغوية ، ودقيوسة ، وقد عظمت هذه البطون فيما بعد حتى أصبحت تعد قبائل مستقلة ، كان أمير هذه القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يدعى سكرديد بن زوغى ، ولّى عليهم مدة ثلاثاً وسبعين سنة ، وأدرك الفتح الاسلامي ، ومات سنة 71 هـ ، وقد بقيت زعامة البربر في هذه القبيلة حتى دخل الدريس الأول المغرب فتنازل له الأمير اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي عن الامارة ، وانتمجت وربة في عداد القبائل البربرية لا تتميز عن سائرهما بشيء . ولا تزال فرقة من قبيلة البرانس المغربية تحمل اسم وربة الى الآن ، واسم وربة معرب لاسم أوربة البربري وهو بفتح الهمزة والواو وسكون الراء .

وصنهاجة (43) وغمارة (44) وسائر البربر ، وتمت له البيعة ، واستقام
الناس له ، وتوطد ملكه ، وكبر سلطانه ، وقويت جنوده وأشياؤه ، وعظمت
جيوشه وأتباعه .

ومما يذكر عنه أنه قال في حال قتاله لمن عانده :

أليس أبونا هاشمٌ شدُّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نملُ الحربَ حتى تملنا ولا نشتكى مما يؤول إلى النكب
ولكننا أهلُ الحفاظِ والنهـ إذا طارَ أرواحُ الكماة من الرعب

وقصد الناس نحو الامام ادريس بن ادريس من كل مكان ، ووفدوا
اليه من سائر البلدان ، وكان ممن وفد عليه نحو خمسمئة فارس من
افريقية والأندلس من القيسية (45) والأزد (46) والخزرج (47)

(43) صنهاجة : إحدى قبائل البربر البرانس وأعظم قبائلهم بالمغرب على الإطلاق ، إذ لا تكاد
باحية من نواحيه تخلو من بطن من بطونهم ، وأكثر النسابين البربر يجهلونهم من العرب الحميريين .
وقد تفرغت عن القبيلة الأصلية فروع كثيرة نمت بمرور الزمان وارتقت كل واحدة منها إلى
درجة قبيلة ذات اسم خاص بها . أما القبائل التي بقيت تحمل الاسم الأصلي فهي مستقرة اليوم بشمال
المغرب ، وهي منقسمة إلى ثلاث قبائل كبيرة ١ - صنهاجة مصباح المشتعلة على عمارتين كبيرتين :
صنهاجة الظل ، وصنهاجة الشمس ، وهي تابعة لقيادة ثلاثاء بني وليد ، ب - صنهاجة غدو ، وهي تابعة
لقيادة كاف الغار باقليم تازة ، ت - صنهاجة السراير المشتعلة على عمار : كقامة - بني سدات -
بني خنوس - الزرقات - غزاوة (تغزوت) - بني أحمد - بني بشير - بني بوشية ، وتقع باقليم الحسيمة ،
وتشمل كل واحدة من هذه القبائل والعمار على عدد كبير من البطون والقرى .

(44) غمارة : قبيلة بربرية شهيرة تنضوي تحتها قبائل كثيرة ، لا يزال قسم منها معروفا بهذا
الاسم في شمال المغرب الأقصى بين قبائل صنهاجة والريف والبحر الأبيض المتوسط ، وهو يشتمل على
القبائل التالية : بني زيات - بني رجل - بني خالد - بني سلمان - بني بوثرية - بني منصور -
بني جرير - بني رزين ، وتوجد منها فروع أخرى في سائر المغرب تحمل أسماء أخرى ، أو تحمل اسم
غمارة ولكنها منمجة في قبائل لا تحمل ذلك الاسم .

(45) القيسية : شعب عربي عظيم ينتمي إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد
بن عدنان ، وتنشعب القيسية إلى ثلاثة بطون كبيرة : كعب ، وعمر ، وسعد ، وغلب اسم القيسية على
القبائل العدنانية حتى جعل في مقابل القحطانية التي تنضوي تحتها قبائل اليمن قاطبة . وفي المغرب أسر
عربية كثيرة تنتمي إلى القيسية ، منهم أسر تحمل اسم (القيسي) .

(46) الأزد : من أعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك
بن كهلان ، من العرب القحطانية ، وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام : أزد شنوءة ، وأزد غسان ، وأزد
المزاة ، وأزد عمان .

(47) الخزرج بطن من الأزد القحطانية ، كانوا يقطنون يثرب مع الأوس عند مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم .

وبني يحصب (48) والصدف (49) وغيرهم ، فسر ادريس رضي الله عنه بوفادتهم ، وأجزل صلاتهم وقربهم ، ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم ، فانه كان فريداً بين البربر وليس معه عربي .

ولما رأى ادريس رضي الله عنه ان الأمر قد استقام له وعظم ملكه وكثر حشمه وضاق بهم مدينة وليلة عزم على الانتقال منها وأراد أن يبني مدينة لنفسه يسكنها هو وخاصة جنوده ووجوه أهل دولته ، فركب بعد الاستخارة في خاصة قومه ، وجال جملة من النواحي الى أن بلغ جبل زالغ (50) فعزم أن يبني به مدينة عظيمة ، فظهر له أن الهوام تكثر فيه زمن القيظ ، فانتقل لوادي سبو (51) ، وعزم أيضاً أن يبني به مدينة ، فظهر له أن المدود تصل اليها زمن المطر ، وما زال يرتاد حيث يبني ، واستشار وزيره عمير بن مصعب الأزدي ليرتاد له موضعاً للمدينة فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما يطلب ، فاخترق تلك النواحي ، الى أن نزل على عين ماء غزيرة مطردة في مروج نضرة ، فتوضاً منها هو ومن كان معه ، وصلى بهم حولها ، ثم دعا الله تعالى أن يهون عليه مطلبه ، وأن يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته ، فسميت العين عين عمير الى الآن ، ثم انه ركب وتوجه نحو فحص سايس (52) ليطلب ما خرج اليه ، حتى وصل الى

(48) يحصب بن دهمان بطن من عامر بن حمير .

(49) الصدف : قبيلة عربية من ولد الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر ، دخلت بطونهم الأولى الى المغرب في عهد الامام ادريس الثاني ودخلت بطون أخرى الى الأندلس أثناء سنوات الفتح ، ولا تزال أسرة (الصدفي) موجودة بفاس الى اليوم .

(50) زالغ او زلاغ : جبل يحاذي فاس من جهة الشمال تسكنه قبيلة لمطة .

(51) سبو : ثاني أنهار المغرب أهمية بعد نهر أم الربيع ، ينبع من الأطلس المتوسط ويسير متعرجاً متحنشاً متضخماً بانصباب روافده فيه ، مثل وادي يناون ، ووادي اللين ، ووادي ورغة ، ووادي بهت ، يحاذي فاس من جهة الشرق وفيه يصب النهر المار بها ، ويصب في المحيط الأطلسي عند فصبة المهدية ، وهو النهر الوحيد في المغرب الذي تدخله السفن الكبيرة . وقد أقيم عليه مرسى داخلي عند القنيطرة (قنيطرة علي وعدي) .

(52) سايس : هو البسيط الممتد بين فاس ومكناس فاصلاً سلسلة جبال الأطلس المتوسط عن سلسلة الأطلس الساحلي ، تسكنه قبائل عربية فحة مثل حميان والمهايا والشجع وأولاد سيدي الشيخ وأخرى بربرية مستعربة مثل آية عياش وبني مطير وكروان . وهو معروف بهذا الاسم الى الآن ، وأرضه من أخصب أراضي المغرب وأجودها .

العيون التي ينبعث منها نهر فاس ، فرأى عيوناً كثيرة تزيد على ستين عنصراً ، ومياهها تطرد على رضراض في فسيح من الأرض ، وحول العيون شعراء من الطرفاء والطخش والعرعار والكرخ وغير ذلك ، فدلّه ذلك على جودة ماء تلك العيون بعد أن شرب من الماء فاستطابه ، وقال هذا ماء عذب وطعم معتدل ومحل كثير المنفعة لأجل ما جاوره من الأشجار وحوله من المزارع ، ثم سار مع مسير الوادي حتى وصل إلى موضع مدينة فاس فنظر إلى ما بين العدوتين ، فرأى غيضة ملتفة الأشجار ، مطردة بالعيون والأنهار ، وفي مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة (53) ، وبني يزغتن (54) ، فرجع عمير إلى الامام ادريس رضي الله عنه وأعلمه بما رأى من الأرض وما استحسنته من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها واعتدالها ، فأعجب الامام ادريس ما رأى من ذلك وسأل عن ملاك تلك الأرض فقيل له هم قوم من زواغة يعرفون ببني الخير ، فقال الامام ادريس : هذا قال حسن ، وبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن ، وانعقد الاشهاد بينهم بذلك في رسم من انشاء كاتبه أبي الحسين عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري الخزرجي ، وذلك في سنة احدى وتسعين ومئة .

ثم ان الامام ادريس ضرب أخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجرواوة (55) من عدوة الأندلس ، ودور عليه جرواوة من الخشب فسمي الموضع به إلى زمننا . ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضع المعروف بالمقرمدة من عدوة القرويين حيث دار القيطون المتصلة بمسجد الشرفاء ، ثم شرع في البناء حسبما يذكر بعد بحول الله تعالى ، كذا ذكره ابن الرقيق وغيره .

(53) زواغة : قبيلة زناتية شهيرة لم يبق لها اليوم وجود بهذا الاسم ، ولكن الأراضي التي كانت تسكن بها عند مجيء الامام ادريس إلى فاس ما زالت تعرف بها ، وهي محانية لفاس من جهة الجنوب ، وعليها تمر الطريق الداهية من فاس إلى كنذر (موزار) .

(54) بني يازغة : وفي كتب تاريخية كثيرة بني يزغش ، وقد عُرِب هذا الاسم الآن فأصبح بني يازغة . وقد تحولت هذه القبيلة من مواطنها بضواحي فاس وأصبحت مستقرة إلى الجنوب الشرقي منها .

(55) ما زال هذا الموضع معروفاً باسم جرواوة حتى الآن ، ويفهم من كلام الجزنائي ان جرواوة - وأجرواو التي وردت في بعض النسخ - معناها الحائط والحاجز .

فمن فضل هذه المدينة وشرفها ما نقله أهلها خلفهم عن سلفهم أنه وجد في كتاب دراس (56) بن اسماعيل المكنى بأبي ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى : حدثني علي بن أبي مطر بالاسكندرية ، قال حدثني محمد بن ابراهيم ابن المواز عن عبد الرحمان بن القاسم ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن شهاب الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : تكون بالمغرب مدينة تسمى بفاس أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة ، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة .

وابن أبي مطر هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي مطر من ولد أبي موسى الأشعري ، كان مجاب الدعوة ، توفي بالأسكندرية سنة تسع (57) وثلاثين وثلاثمئة . كذا نقل عياض (58) رحمه الله في مداركه .

ودراس رحمه الله ورضي عنه ممن أدخل علم مالك رضي الله عنه بلاد المغرب ، فإنه كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى أن دخل علي بن زياد والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك ، فأخذ كثير من الناس ، فلم يزل يفشو الى أن جاء سحنون ففض حلق المخالفين ، واستقر المذهب بعده في أصحابه ، فشاع في أقطار المغرب الى وقتنا هذا . وأما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ افتتحت على رأي الأوزاعي الى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمان ، وقرعوس بن العباس ، ومن بعدهما ، فجاءوا بعلم مالك ، وأبانوا للناس فضله واقتدى الأئمة به ، فعرف حقه ، ودرس مذهبه الى أن أخذ أمير الأندلس اذ ذاك،

(56) انظر ترجمته في جذوة الاقتباس ص 121 و الفكر السامي 3 : 115 .

(57) في نسخة دار الكتب المصرية : سبع .

(58) عياض بن موسى اليحصبي السبني أبو الفضل ، عالم أهل المغرب وإمام أهل الحديث في وقته كان من أعلم الناس بكلام العرب وأيامهم وأسابيهم ، ولد بمسنة عام 476 وولى قضاء بلده وقضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش عام 544 هـ ، من مؤلفاته (الشفا ، بتعريف حقوق المصطفى) و (ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، في معرفة أعلام مذهب الامام مالك) وغيرهما . تراجع ترجمته مفصلة في الكتاب الذي خصه أحمد المقرئ النلمساني بالتعريف به المسمى (ازهار الرياض ، في أخبار القاضي عياض) .

وهو هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك ، وصير القضاء والفتيا عليه ، وذلك في عشرة السبعين ومئة في حياة مالك رحمه الله ، وشيخ المفتين حينئذ صعصعة بن سلام امام مذهب الأوزاعية وراويته ، وقد لحق به من أصحاب مالك غيره ، فالتزم الناس هذا المذهب ، وحملوا بالسيف عن غيره جملة ، وأدخل فيها قوم من الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداود فلم يُمكثوا من نشره ، فمات لموتهم على اختلاف أزمانهم الا من تعبد به في نفسه ممن لا يؤبه بقوله ، على ذلك مضى الأندلسيون الى وقتنا هذا .

وسُمِّيَ دراس لكثرة درسه العلم ، أصله من مدينة فاس ، سمع من شيوخها ، وبافريقية من أبي بكر بن اللباد وغيره ، وبالأندلس من شيوخها ، وله رحلة حج فيها وسمع من علي بن أبي مطر بالأسكندرية كتاب ابن المواز وحدث به بالقيروان ، سمع منه أبو محمد بن أبي زيد ، وأبو الحسن بن القابسي وغيرهما ، ودخل أيضاً الأندلس مجاهداً وطالبا ، فتردد بها في الثغر ، فسمع منه أبو الفرج عبدوس بن خلف ، وخلف بن أبي جعفر وغير واحد ، وكان أبو ميمون من الحفاظ المعدودين ، والأئمة المبرزين من أهل الفضل والدين ، ممن له الأمانة بمذهب مالك رضي الله عنه ، توفي بفاس بلدة سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وقبره بخارج باب الجيزيين (59) منها معروف ، والدعاء عليه مجاب ، وله بفاس مسجد (60) يعرف به ، وقد جدد قبره مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله ، وجعل هناك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ موته ونصبت عند رأسه في أول سنة أربع وخمسين وسبعمئة .

وأخبر ابن التبان أن رجلاً من أهل المغرب قال له سنة سبع وخمسين وثلاثمئة : كنت بالرمادة فرأيت السماء والأرض تبكيان ! فقلت ما هذا ؟ فقيل لي مات أبو ميمونة ، فكان كذلك ! .

(59) هو الباب المعروف اليوم بباب الحمراء .

(60) يقع هذا المسجد بحومة مصمودة ، وما زال منسرباً اليه حتى الآن .

وكثيراً ما كان ينشد :

غفلتُ وحادي الموت في أثري يحدو
وان لم أرح ميتاً فلا بدُّ أن أغدو

أرى العمرَ قد ولى ولم أبلغ المنى
وليس معي زاد وفي سفري بعد !

أنعم جسمي باللباس ولينه
وليس لجسمي من قميص البلا بد !

كأنني به قد مد في برزخ البلا
ومن فوقه رجم ومن تحته لحد

وقد ذهبت مني المحاسن وامتحت
ولم يبقَ فوقَ العظم لحم ولا جلد

فكيف اذا بالنار يارب قربت
ونارك لا يقوى لها الحجرُ الصلد

عسى غافرُ الزلات يغفرُ زلتي
فقد يغفرُ المولى اذا أذنب العبد

نقل أكثر هذا الفصل من (المدارك) وغيره ، ومن أراد الوقوف
على أكثر من ذلك فليطالع كتاب (المستفاد في ذكر الصالحين من فاس
والعباد) .

ولما عزم الامام ادريس رضي الله عنه على بناء مدينة فاس بعد
أن اختبرَ تربتها وهواءها ورياحها وماءها ، وتحقق بعدها من الصحراء
والبحار والجبال الشامخة والسباخ العفنة وعلمَ أن ذلك مما يأمن به سكانها
رفع يديه الى السماء وقال : اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك ، وتقام
بها سنتك وحدودك ، واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها ،
ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء

من عباده ، والعاقبة للمتقين ، ثم أخذ المعول بيده ، وابتدأ يحفر الأساس ،
واتبعه الفعلة في ذلك ، فلم تزل دار علم وسنة .

وذكر ابن غالب في تاريخه أن الامام ادريس حين عزم على بناء
مدينة فاس واختطاطها مرَّ به شيخ كبير من الرهبان كان مترهباً في صومعة
قريبة من تلك الجهات ، فوقف للإمام إدريس رحمه الله وسلَّم عليه ، ثم قال
له أيها الأمير ، ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين ؟ قال : أريد أن أختط
بينهما مدينة لسكنائي وسكنى ولدي من بعدي ، يُعبدُ الله تعالى بها ويتلا كتابه
وتقام حدوده ، فقال له أيها الأمير : ان لك عندي بشرى ، قال وما هي أيها
الراهب ؟ قال له : أخبرني راهب كان قبلي في هذا الدير هلك منذ مئة سنة
أنه وجد في كتب علمه أنه كان بهذا الموضع مدينة تسمى ساف خربت منذ
ألف سنة ، وأنه يجددها ويحيي أثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة
يسمى إدريس ، ويكون لها شأن عظيم وقدرٌ جسيم ، لا يزال دين الاسلام
قائماً فيها الى يوم القيامة ، فقال إدريس : الحمد لله ، أنا ادريس ، وأنا من
آل بيت النبوة ، وأنا بانيها ان شاء الله تعالى ، فكان ذلك مما قوى
عزمه على بنائها .

ويدل على صحة ذلك والله أعلم ما رواه البرنسي أن رجلاً من اليهود
احتفر أساساً لدار يبنها بقنطرة عذيلة من المدينة المذكورة ، والموضع يومئذ
شعراء بالطخش والبلوط وغير ذلك ، فوجد في الأساس قطعة رخام على
صورة جارية منقوش على صدرها بالخط السندي : هذا موضع حمام عمر
ألف سنة ثم خرب فأقيم بموضعه بيعة للعبادة ، كما قال عمر بن أبي ربيعة :

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة
بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

واختلف لم سميت فاس ؟ ف قيل إن الامام ادريس لما شرع في بنائها
كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة ، فصنع له بعض خدمه فاساً من ذهب
فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة : فكثرت ذكر ذلك
الفاس على ألسنتهم في طول مدة البناء ، فكان الفعلة يقولون : هاتوا الفاس ،
خذوا الفاس ، احفروا بالفاس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك .

قاله صاحب الاستبصار ، وهذا والله أعلم لا يصح ، لأن إدريس رضي الله عنه لا يجهل أن استعمال الذهب محرم على الرجال .

ويقال : انه لما شرع في حفر أساسها من جهة القبلة وجِدَ في الحفير فاسٌ كبيرٌ طوله أربعة أشبار ، وسعته شبر ، وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل ، فسُميت المدينة به وأضيفت إليه ، نقل معناه المظفري وقيل : انه لما تمت بالبناء قيل للامام ادريس : كيف تُسميها ؟ قال أسميها باسم المدينة التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني الراهب أنه كانت هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الإسلام بألف عام ، وكان اسمها مدينة ساف ، ولكنني أقلب اسمها الأول وأسميها به ، فجاء منه فاس فسميت به ، كذا نقله علي بن عبد الله بن أبي زرع في كتابه المسمى بـ (الأنيس).

وكان تأسيس مدينة فاس على ما ذكره المؤرخون الذين عنوا بتواريخها ، وبحثوا عن أمورها وأحداثها على نحو ما نذكر :

أما عدوة الأندلس فإنها أسست في يوم الخميس مهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومئة ، أقام الامام إدريس منها بالموضع المعروف بجرواوة حيث نزل بأخبيته وقبابه ، وابتدأ سورها من جهة القبلة ، وفتح هناك باباً سماه بباب القبلة ، ثم مرَّ بين الموضع المعروف بالفوارة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك باباً سماه بباب الفوارة ، ثم مرَّ بالسور على الموضع المعروف بالمخفية الى الوادي الكبير الى برزخ وفتح هناك باباً سماه بباب المخفية ، كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين . ثم مرَّ بالسور الى الشيبوبة (61) وفتح هناك باباً سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل المعروف الآن بباب النقبة من عدوة القرويين ، ثم مرَّ بالسور الى رأس حجر الفرج وفتح هناك باباً سماه بباب أبي سفيان ، ثم مرَّ بالسور على جرواوة وفتح هناك باباً سماه بباب الكنيسة يعرف الآن بباب الخوخة ، وبخارجه كان يسكن المرضى لتكون روائحهم تحت الريح الغربية فإنها الغالبة

(61) هي الحومة الواقعة في نهاية الحدادين بين درب اللطفي وبين المدن .

يفاس ، وليكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من البلد ولا يصل من ضررهم للمدينة شيء ، ثم انتقلوا من الموضع المذكور لكهوف باب الشريعة في زمن المجاعة ، وكانوا يتصرفون بالماء الذي بأعلا المدينة ، فرفع لمولانا أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله أن ذلك يضر بالناس ، فأمر بانقالتهم لكهف بظاهر برج الكوكب (62) ، وهو الموضع الذي فيه سكناهم الآن ، ثم مر بالسور إلى أن وصل باب القبلة المذكور ، وقد استدار بها السور ، ثم بنى جامعاً للخطبة بقرب رحبة البير ، ويعرف بجامع الأشياخ (63) .

وأما عدوة القزوين فإنها أسست في مهل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومئة ، أقام الامام الدريس منها بالموضع المعروف بالمقرمدة ، ويعرف الآن بدار القيطون ، وبقرب مسجد الشرفاء حيث سكنى حفدة الدريس رضي الله عنهم . وابتدأ سورها من رأس عقبة عين علون وفتح هناك باباً سماه بباب افريقية وبه يعرف الآن ، وجدده مولانا المستعين ووسعه وذلك في شوال سنة ستين وسبعمئة ، وكان حول العين التي هناك غيضة عظيمة يقطع بها الطريق عبد أسود اسمه علون ، فرفع ذلك للامام الدريس فأمر بصلبه بأعلا شجرة هناك إلى أن تقطعت أشلاؤه ، فسميت العين باسمه ، ثم مر بالسور إلى عين ثوربور إلى عقبة الصعتر (64) وفتح هناك باباً سماه بباب القوس ، ثم مر بالسور إلى أغلان وفتح هناك باباً سماه بباب الفصيل وهو الذي ذكرنا أنه يعرف بباب النقبة ، ثم مر بالسور مع ضقة الوادي وفتح هناك باباً سماه بباب الفرج ، ويعرف بباب السلسلة ، ثم مر بالسور إلى مقربة من عيون ابن الصادي ، وفتح هناك باباً سماه بباب الحديد ، وليس هو الباب المعروف بذلك الآن ، ثم مر بالسور لأعلا عقبة الجرف وفتح هناك باباً سماه بباب القلعة ، ثم مر بالسور حتى وصل به باب افريقية المذكور ، وقد استدار بها السور ، ثم بنى جامعاً للخطبة متصلاً بمنزله وهو المعروف الآن بمسجد الشرفاء .

(62) حيث يوجد الآن ضريح سيدي علي المزالي .

(63) ويعرف أيضاً بالجامع الأنور ، وهو واقع في مغل زنقة سيدي بوجيدة .

(64) هي النقبة الواقعة بين الضلابين وباب عجيبة ، وبها ضريح سيدي أحمد بن يحيى .

وكان الامام ادريس رضي الله عنه في أثناء ذلك أمر الناس ببناء الدور والغرس ، ونادى فيهم أن كل من بنى موضعاً واغترسه قبل تمام بناء السور فهو له هبة لله تعالى ، فيظهر من هذا والله أعلم أن من بنى شيئاً بعد تمام السور المذكور إنما يكون باستئجار الأرض ، وهو سبب الجزاء (65) في بعض جهاتها .

ولما فرغ الامام ادريس رضي الله عنه من بناء أسوار المدينتين وجامعي خطبتيهما أنزل القبائل الوافدين عليه من جزيرة الأندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت بذلك عدوة الأندلسيين ، وأنزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت بذلك عدوة القرويين . ثم أمرهم بزيادة البناء والغرس ، فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت ، وغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس الى مصبه في نهر سبو بأنواع الأشجار وضروب الثمار وحرثوا سائر نواحيها بأنواع الزراعات ، فعمرت الأرض بالغراسة والحراثة وظهر صلاح ذلك والانتفاع بغلاته في أقرب وقت ، فكثرت الخيرات ، وزادت العمارات ، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات والأصقاع ، وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار والصناع .

ولما سكنت مدينته واستقامت رعيته ، وحضرته الجمعة صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه في آخر خطبته وقال : اللهم انك تعلم أنني ما أردتُ ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ، ولا سمعة ولا مكابرة ، وإنما أردت أن تُعبد فيها ، ويتلا بها كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأغنهم عليه ، واكفهم مؤونة أعدائهم ، وأدرز عليهم الأرزاق ، وأغمد عنهم سيف الفتنة والنفاق ، انك على كل شيء قدير ، فأمن الناس على دعائه ، فكثرت بالمدينة الخيرات ، وظهرت البركات .

(65) الجزاء ، وينطق المغاربة جيمه جيماً بدوية هو مأل يؤديه المرء جزاء بنائه على أرض لا يملكها ، وفي فاس حرمات كاملة كان الناس يؤدون الجزاء عن الدور والحوانيت والمصانع التي بنوها بها ، مثل جزاء ابن عامر وجزاء برقوقة وجزاء ابن زكون .

وأقام الامام ادريس رضي الله عنه ساكناً بها الى سنة سبع وتسعين ومئة ، فخرج الى غزو من بقي من الكفار بنفيس (66) وبلاد المصامدة (67) ، فوصل اليها ودخل مدينة نفيس ومدينة أغمات (68) وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى مدينة فاس فأقام بها الى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومئة ، فخرج منها الى مدينة تلمسان لتكون الكلمة واحدة في اعزاز الدين وظهوره ، فغلب عليها وافتتحها ، ونظر في أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها الذي بأجدير (69) ، وصنع فيه منبراً وكتب اسمه فيه . كذا نقل ابن غالب ، وصاحب الأنيس .

وقال الوراق في مقباسه : دخلت جامع تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، فرأيت في رأس منبرها لوحاً من بقية منبر قديم قد سُمِرَ هناك ، وعليه مكتوب : هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومئة .

ثم رجع الامام ادريس الى مدينة فاس ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله تعالى في أول شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومئتين ، وهو

(66) نفيس : اسم نهر ينبع من كدية تيشكة (تيزي ن تيشكة) بجبال الأطلس الكبير جنوبي مراكش ينحدر شمالاً الى أن يصب في وادي نميفة (تنسيفت) فوق زاوية الشراذي تاركاً مراكش الى شرقه وعلى ضفاف هذا النهر توجد بلاد نفيس التي تمكثها قبائل بربرية شديدة البأس ، ومدينة نفيس التي يشير اليها المؤلف ذكرها صاحب الاستبصار وقال عنها انها مدينة قديمة ازلية غزاها عقبة بن نافع سنة 62 وحاصرها وفيها الروم والنصارى البربر ، فافتتحها وأصاب المسلمون فيها أموالاً كثيرة ومغانم كثيرة وبنى فيها عقبة مسجداً بقي معروفاً الى زمان مؤلف الاستبصار وهو نهاية القرن السادس الهجري .

(67) بلاد سوس والقسم الغربي من الأطلس الكبير .

(68) أغمات : مدينة تاريخية بقرب مراكش اضمحلت اليوم ولم يبق منها الا الأطلال اشتهرت بكثرة من ولد بها أو تردد عليها من العلماء والصلحاء ، كما اشتهرت بإقامة المعتمد ابن عباد أمير اشبيلية بها جبرياً بعد ما استولى يوسف بن تاشفين على امارته ، وبها قبره معروف الى اليوم . وقد نحدث صاحب الاستبصار عنها فقال : واغمات مدينتان : احدهما تسمى أغمات وريكة ، والآخرى اغمات هيلانة ، وبينهما نحو ثمانية أميال ، وبأغمات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهيز للصحراء الخ. تطالع اخبارها واخبار رجالها في كتاب القاضي العباس ابن ابراهيم التعارجي المسمى الاعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام .

(69) كان الحيّ التحتاني من تلمسان يسمى أجدير ، ولا يزال يدعى كذلك الى الآن ، وبه بنى الامام ادريس مسجده الذي لا تزال صومعته قائمة .

ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر بالاستقراء ، فكانت أيام كفالة راشد نه وبقية حمله عشر سنين وعشرة أشهر ، وأيام امارته سبعا وعشرين سنة . ويذكر أنه دُفن بمسجد الشرفاء بإزاء الحائط المرفي منه (70) ، وقد أنشد بعض شعراء فاس في ذلك من قصيد طويل :

مدينة إدريس بن إدريس التي بها قبره ثاو ومنبره مبنى
منازل آل الله آل رسوله فأحب بهم أهلا ، وأحب بهم معنى
وكان سبب وفاته على ما قاله البكري أنه أكل عنباً فشق بحبة
منه فمات من حينه رحمه الله تعالى .

وخلف من الولد على ما ذكره ابن حزم في جمهرته ثلاثة عشر
نكراً : إدريس ، وأحمد ، وعبد الله ، ويحيى ، والحسن ، والحسين ،
ومحمداً ، وعبيد الله ، وداوود ، وعيسى ، وعمر ، وجعفر ، والقاسم ؛ وقيل
وحمزة وقيل أكثر من ذلك . فولّي بعده محمد (71) وهو أكبرهم ، وما زال
حفدة الإمام إدريس بن إدريس رضي الله عنه قاطنين بمدينة فاس منذ أسست
الى زمننا هذا ، محمولين على البر والاكرام ، والمحاشاة والاحترام ،
والرعي المستدام ، على مرّ الليالي والأيام ، يتبرك الناس بشهادتهم في
الصدقات والصدقات (72) ، ويتوسلون بهم في الشفاعات ، ويستسقون
بأطفالهم في الاستسقاءات :

أولو طهارة أحساب اذا انتسبوا أبدا السرور ابتهاجاً كلما فخرُوا
توارثوا المجد عن آبائهم ، فلهم فوق السهي رتب من فوقها ظهرُوا
اذا نضوع نشر الحمد عن عقب فاعلم بأنهم في حينه ذكرُوا

(70) نكر ابن زرع في القرطاس نقلا عن البرنسي ان الامام إدريس الثاني توفي بوليلة من بلاد زرمون ودفن الى جانب قبر أبيه في رباط وليلة .

(71) هو ثالث ملوك الدولة الإدريسية ، توفي بفاس في شهر ربيع الثاني سنة 221 ودفن بشرقى جامعها مع أبيه الامام إدريس الأول وأخيه عمر جد الأدارسة الحمويين الأندلسيين . ظ القرطاس ص 30 - 31 .

(72) الصدقات الأولى بفتح الدال الثانية بضمها جمع صدقة : الصداق ، وفي القرآن الكريم : وآتوا النساء صدقاتهن نحلة .

وقد بالغ مولانا أبو الحسن (73) رحمه الله في الاحسان لجميع الشرفاء القرباء منهم والبعداء ، وبعث قاضي حضرته الأشهر ، وعالمه الأكبر ، ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي يحيى (74) رحمه الله تعالى لسائر بلاده مميزاً لأعيانهم ، ومختبراً لأنسابهم ، حتى تلج صدره بصميم نسبهم ، وصريح حسبهم ، واقتدا مولانا المستعين (75) رحمه الله بأبيه المرحوم في برهم والأنس بقربهم ، فمنما جرايتهم ، وقرب مكانتهم ، وقضى حاجتهم ، وعلاً منازلهم ، وراعى وسائلهم ، وأجرى لهم الأرزاق السنية ، وتعهدهم بالصلوات المرضية ، واختار لهم أقربهم نسباً ، وأطهرهم أمأ وأباً ، وأنصرهم عوداً ، وأطولهم عموداً ، وأجودهم جوداً ، وأكرمهم جدوداً ، وقدمه رئيساً عليهم ، ومختبراً اليهم ، وفوض له في أمورهم ، صوتاً لكبير قدرهم ، وهو سيدنا الشريف الطرفين ، الزاكي الأصلين ، السامي الفخار ، الشريف النجار ، الكبير المحتد ، الكثير السؤدد ، العريق النسب ، الشريف الحسب ، ذو النفس الوفية ، والشيم الزكية ، والأفعال المرضية ، مزين المحافل ، وجامع الفضائل ، صدر المجلس حيث انتهى احتفاله ، والمعظم في بساط الملك حيث تؤخذ آراؤه وتسمع أقواله ، أخذ راية

(73) السلطان علي بن عثمان بن بمقوب بن عبد الحق المريني واسطة عقد الدولة المرينية وأحد سلاطينها الاجلاء ، يكنى أبا الحسن ، ويلقب المنصور بالله ، ويعرف عند العامة بالسلطان الأكل لسمره لونه ، ولد بتفريدون في صفر سنة 691 وبويع بعد وفاة أبيه يوم الجمعة 25 ذي القعدة سنة 731 ومات بجبل منتنة ليلة الثلاثاء 27 ربيع الأول عام 752 ونقل جثمانه الى شالة فدفن بها . له أخبار كثيرة ، ومأثر في جميع بلاد المغرب العربي شهيرة ، وقد خصه العلامة المحدث محمد ابن مرزوق التلمساني المعروف بالجد والرئيس والخطيب بكتاب سماه المستند الصحيح الحسن ، من محاسن مولانا أبي الحسن وهو مطبوع .

(74) ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن أبي يحيى النسولي النازي المعروف بابن أبي يحيى ، اتفق عليه القاضي الصغير ، له تقييدان على الرسالة والتهذيب فيدهما أيام قراءته على أبي الحسن الصغير ، ولله السلطان أبو الحسن المريني قضاء فاس ، واستعمله كثيراً في السفارة ، وحضر ابن الخطيب السلماي أديب الأندلس الكبير دروسه بمدرسة عدوة الأندلس ، فليج بأخر عمره فالنزم منزله ، وكان السلطان فمن دونه يزورونه ، توفي عام 747 انظر جذوة الاقتباس ص 84 . 85 و درة الحجال 1 : 95 وأعلام المغرب العربي 1 : 119 ع 123 .

(75) ابراهيم بن أبي الحسن المريني المتقب بالمستعين بالله أحد ملوك بني مرين ، ولد سنة 735 ، وبويع منتصف يوم الجمعة 15 شعبان سنة 760 وقتله الوزير عمر بن عبد الله الباهاني المؤلف له هذا الكتاب في يوم الخميس 21 ذي القعدة سنة 762 ودفن بالنقطة خارج باب الجيسة ، بأعلا جبل العرض المعروف بجبل الزعران . وكان آخر القوم دماء وحياء وبعداً عن الشرور ، وركونا للعافية كما يقول ابن الخطيب .

الشرف بيدين ، وحائز قصب السبق في كل حبة فما لسواه بها من يدين ،
الذي طابث أصوله ، وطالت فروعه ، ولم يزل الى العمل الصالح نزوعه ،
ابو عبد الله محمد :

فما مثله يخفى ، هو الشمس رفعة
ونوراً واشراقاً ، وهل تُجهل الشمس ؟

أنارت به آفاق كل جلالة
وفاضت بوبل الجود أنمله الخمس

ابن سيدنا ووسيلتنا الى الله تعالى الشريف الطاهر الأردان ، المُتَّسِم بِسِيَمَا
الايمان ، صوام الهواجر ، ومتسربل ظلام الليل لقيامه وهو للكرا هاجر ،
ذي المحامد والمآثر ، والمناقب والمفاخر ، ابي عبد الله محمد :

سمت يروق وصيت لم يدغ أمداً
للفخر منتسباً إلا تجاوزه

إذا رأيت أرايت العين قرئتها
فما تطيق جلالات أن تجاوزه

ابن عمران ، بن عبد الواحد ، بن احمد ، بن علي ، بن يحيى ، بن عبد
الله ، بن محمد ، بن علي ، بن حمود ، بن يحيى ، بن ابراهيم ، بن يحيى
بن محمد ، بن يحيى الجوطي ، بن القاسم ، بن ادريس ، ابن ادريس ، بن
عبد الله ، بن حسن ، بن الحسن ، بن علي ، بن ابي طالب رضي الله عنه ،
لينظر في أمورهم وكافة شؤونهم ، وليكون عليهم أحنأ ، وأمره فيهم أسنى ،
وليتصون بنظره أنسابهم ، وتتعرف بمعرفته أحسابهم . وليلاً يدخل فيهم من
ليس منهم ، او يخرج خارج عنهم ، وينزهمهم عن المكاسب الدنية ، ويمنعهم
من المطاعم التي ليست بمرضية ، وأن يكفهم عن ارتكاب المآثم ، ويمنعهم
من اقتراف المحارم ، ليكونوا على الدين الذي نصره أغير ، وللمنكر الذي
أزالوه أنكر ، فلا ينطق بزمهم لسان ، ولا يشنأهم إنسان ، نفعا الله بحبهم ،
وحشرنا في حزبهم .

ولله درُّ القائل :

حُبُّ آلِ النبي خالط لحمي
وجرى في مفاصلي فاعذروني
أنا والله مغرَّم في هواهم
عللوني بذكرهم عللوني

ولو ذهبْتُ لاستيفاء مناقبهم الجليلة ، وماثرهم التي أفردتهم بكل
فضيلة ، لمأثُ من تلك الأوراق ، ولم أوردُ إلا ما يقع الإجماعُ عليه
والاتفاق ، وما ذكرناه من ذلك نزر يسير ، ونقطة من بحر في التقدير ،
فلنرجعُ الى ما كنا بصددِه من هذا الكتاب ، والله الموفقُ للصواب :

فمن أحسن ما قيل في ذكر محاسن فاس :

يا فاسُ منك جميعُ الحسنِ مسترق
وساكنوك ليهنهم لقد رزقوا
هذا نسيمك أم روح لراحتنا
وماؤك السلسل الصافي أم الورق ؟
أرضٌ تخللها الأنهارُ داخلها
حتى المجالس والأسواق والطرق

وقال آخر :

بلدٌ أعارته الحمامة طوقها
وكساه ريشَ جناحه الطاووس
فكأنما الأنهارُ منه مدامة
وكان ساحات الديار كؤوس

وقال آخر :

يا عدوة القرويين التي كُرمت
لا زال جانبك المحبورُ محبورا .

ولا سرى الله عنها ثوبَ نعمته
أرضاً تجنبت الآثام والزورا
وقال آخر يمدح فاساً ومليكتها :

تسود على بلاد الله فاس
وحق لها بما خُصت تسود
كفاها أن أقام بها مليك
عظيم القدر ليس له عنيد
أليس لها على البلدان فضل
وتأتيها الركائب والوفود
أليس ترى مجابي الأرض تجبي
وعنها لا تميل ولا تحيد
أليس ترى عباد الله طراً
وكلهم لملكها عبيد

والفقيه القاضي الكاتب البارع محمد بن أبي عبد الرحمان (76)
المغيلي يصف فاساً ويتشوق إليها حين ولي القضاء بمدينة أزموور (77) :

(76) صاحب القلم الأعلام محمد بن الفقيه للقاضي محمد بن يحيى بن أحمد المغيلي من بيت بني
المغيلي انفاسيين ، القاضي بفاس ، وكاتب العلامة والانشاء للسلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
لمربني ، قال ابن الأحمر في مستودع العلامة ص : 48 : رأس العلوم العقلية ، ونفس الفهوم للنقلية ،
ومحكم الانشاء في الطروس ، والناظر في أحكام قضائه في دعاوي البعل والعرس ، وهو قاض وابن قاضي
القضاء ، وحامل المعرفة بالوثائق بالخلال المرتضاء . لم يذكر ابن الأحمر وفاته ، ولا ابن القاضي في
جنوة الاقتباس ص 145 و نرة الحال 1 : 273 .

(77) أزموور : مدينة واقعة على الضفة الجنوبية لنهر لم الربيع لدى انصبايه في المحيط الأطلسي ،
تبعد 80 كلم عن الدار البيضاء من جهة الجنوب ، و 17 كلم عن الجديدة من جهة الشمال . وهي إحدى
المدن المغربية القديمة ، لكن تاريخها قبل الاسلام لا يعرف بوضوح ، ذكر أبو القاسم الزياني أن أمراء
صنهاجة أسسوها لما استقر البربر بالمغرب . كان لها بعد الفتح الاسلامي شأن في العلم والدين والسياسة
والعمران ، لكنها تدهورت عند ما استولى عليها البرتغاليون سنة 914 هـ . از لاجلا عنها أهلها ، وبلات
معالمها وأثارها وأصاب الخراب جميع جهاتها ، ولما جلا عنها البرتغاليون بعد ذلك لم تعد لسابق عهدها
في الحضارة والعمران ، سيما بعد تأسيس الدار البيضاء في شمالها والجديدة في جنوبها ، وهي الآن مدينة
متوسطة يشغل أهلها بالفلاحة ويتعاطون التجارة ، ولا يخلون من فضل وعلم .

يا فاس حيي الله أرضك من ثرى
وسقاك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التي أريت على
حمص بمنظرها البهي الأجل
غرف على غرف ويجري تحتها
ماء الدُّ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرفت
بجداول كالأيمن أو كالفيصل
وبجامع القروين شرف نكره
أنس تذكره يهيج تمللي
وبصحته زمن المصيف محاسن
فمع العشي الغرب فيه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسناء به
واكرع بها عني فديتك وانهل (78)

وقالت الحكماء : لا تستوطن الا بلداً فيه سلطان حاضر ، وطبيب
ماهر ، ونهر جار ، وقاضي عادل ، وعالم عامل ، وسوق قائمة .

وقالت الحكماء أيضاً : أحسن موضوعات المدن أن تجمع خمسة
أشياء ، وهي النهر الجاري ، والمحراث الطيب ، والخطب القريب ، والسيور
الحصين ، والسلطان القاهر ، اذ به صلاح حالها ، وتأمين سبلها وكف
جبابرتها .

(78) بهامش نسخة الخزنة الملكية ما يلي :

ولابن الخطيب :

يا حبذا قاص الغراء من بلد كجنة الخلد أشجاراً وأنهاراً
الله يعلم أنني مذ جلت بها وجدت داراً ولكن لم أجد جاراً

ومما ينسب لابن عاشر رحمه الله :

وقد مدحوا فاساً بأشياء جمّة من العلم والآداب والدين والسنّة
وقالوا بها عيب تكدر مريدها نعم صدقوا لكن كذاك هي الجنة

وقد جمعت مدينة فاس هذه الخصال التي هي كمال المدن وشرفها، وزادت عليها محاسن كثيرة ، وسأسرّد منها نبذاً :

فمنها نهرها المعروف بنهر الجواهر (79) الذي بأعلاها بنحو ستة أميال ، وهو يخرج من نحو ستين عنصراً ، جلها ينبعث من جهة القبلة ، وبعضها من جهة الغرب مسامناً لمشرق الشمس ، وله منظر عجيب لصفائه وانهماله على الرضراض ، فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه فيصير نهراً كبيراً يجري في بساط من الأرض يكاد لا يتبين جري الماء فيه لاستواء أرضه ، وحواليه نبت الكرفس والسعداء في مروج مخضرة لا تزال كذلك في جميع فصول السنة ، الى أن ينحدر الى البلد فينقسم في داخلها على جداول كثيرة ، فيشق أكثر جهاتها ، ويتشعب في داخلها ، فينتفع به في مساجدها وسقاياتها ودورها وأرحائها وحماماتها وسقي جناتها ، ثم يخرج منها وقد حمل أثقالها (80) وسائر فضلاتها .

وكان مولانا أمير المسلمين أبو سعيد كرم الله وجهه يعجبه موضع عناصر هذا الوادي ، وأمر ببناء دار تكون للنزهة هناك ، وشرع في بنائها، ثم منع من تمامها موانع .

وليس لهذا النهر نظير لصفائه وعذوبة مائه وخفته وبرودة عيونه في زمن الصيف وسخانتها في زمن الشتاء ، وهو يسخن سريعاً ، ويبرد سريعاً ، وينهضم سريعاً ، وهذه الصفات محمودة عند الأطباء ، ويخرج منه الصدف الثمين الذي يقوم مقام الجواهر ، ولذلك سُمّي نهر الجواهر .

(79) وادي الجواهر : يعرف اليوم بوادي فاس ، وبوادي الجواهر أيضاً ، ووادي الجواهر عند المتقين فقط والمزايا التي ذكر المؤلف أن هذا الوادي يختص بها فيها مبالغة وغلر ، وقد نقصت مياه هذا الوادي اليوم نقصاناً كبيراً ، لأن السلطات الفرنسية عمدت أيام حكمها للمغرب الى أعلاء فأخذت منه كميات وافرة من المياه خصصتها لسقي الضيعات الاستعمارية التي انتزعتها من القبائل المحيطة بفاس، والنهر الذي يخرج من فاس حاملاً أثقالها وأزبالها ليس هو نهر الجواهر ، بل هو نهر آخر يدعى وادي بوخرارب، يلتقي بوادي سبو على بعد أربعة كيلومترات الى الشرق منها ، وعلى هذا النهر الأخير توجد القناطر التي تصل إحدى العدوتين بالأخرى .

(80) ج ثقل : ما استقر تحت الماء ونحوه من كدر ، ويقصد المؤلف النفايات والأزبال .

ومن منافعه أنه يفتت الحصى التي تكون في المثانة ، ويزيل الصبيان من الرأس والقمل من الجسد لمن اغتسل به وداوم على شربه ، ويلين البشرة ، وتغسل به الثياب دون صابون فيبيضها ويكسوها رونقاً وروائح طيبة ، ويوجد فيه السرطين المستعملة في الأدوية وليست توجد في غيره إلا نادراً ، ويخرج منه أنواع الحوت مثل اللبوس والبوري والسلباح والبوقة وذلك كله حوتٌ لذيذ المطعم (81) .

ومنها أن بها ماء العيون والآبار والأنهار ، فمياه العيون عذبة صافية باردة في الصيف حين يراد ذلك منها ، ومياه الأنهار بعكسها سخنة في الصيف باردة في الشتاء ، فلا يزال الماء السخن والبارد موجودين في كل زمان ، وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف .

ومنها قرب المعادن لها ، كالملاحه التي بمجشر (82) الشاطبي الى وادي مكس (83) وبينهما في المسافة ثمانية عشر ميلاً ، ومن النادر في هذه الملاحه أنها تحرث كلها بالزرع ، فتجد الفدادين في وسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلاً من الله ونعمة . وكمعدن الجبس والصلصال وأنواع الحجارة والرمال ، وذلك على اختلاف أنواعه متيسر يصرفه الناس في منافعهم .

ومنها خشب الأرز المطلوب لها من جبال بني يازغة ، وهي بنحو الثلاثين ميلاً عنها ، يصل كل يوم منه أحمال كثيرة فلا يعدم فيها بوجه ، وقد يعمر العود منه في الموضع الذي لا يناله ماء ألف سنة وأزيد لا يعفن ولا يستأس .

ومنها الحطب الكثير الذي يدخلها من سائر جهاتها كجبل بني بهلول (84) فانه يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال البلوط وفحمه ما لا يوصف كثرة .

(81) لم يبق معروفاً اليوم من هذه الأنواع إلا البوري و البوقة و النون .

(82) القرية في الاصطلاح المغربي - الأندلسي ، وتنتطق مدشر بالدار وأحياناً بشرة .

(83) واد يقع الى الشمال الشرقي من فاس على بعد 30 كلم منها في الطريق بينها وبين طنجة والغرب ، ولا تزال الملاحات التي أشار إليها المؤلف قائمة العين والذات حتى اليوم .

(84) يقع هذا الجبل جنوبي فاس ، بينها وبين صفرو ، وفي سفحه قرية البهاليل العتيقة .

ومنها المحرثُ العظيمُ الذي بأنظارها سقياً وبعلاً وكثرة المجاشن :
ما ليس على مدينة من مدن الغرب .

ومنها بُعدُها من أطراف الأرض التي تخافُ فيها الفتنُ والغارات ...
ومنها اختصاصُها بجميع الفواكه وأصنافها ، وأنواع الخضر
والبقالي على اختلافها وسائر نوار الأرض وأزهارها حتى لا يشقُ شيءٌ من
ذلك على من طلبه .

ومنها قربُ العيون السخنة لها كحمة خولان (85) ، وحمة وشتانة
(86) وحمة أبي يعقوب (87) فإن فيهن مرفقاً للاستحمام والتداوي ، وقد
اعتنى مولانا أمير المسلمين أبو الحسن نور الله ضريحه ببناء حمة خولان
على وجه محكم لتتم مصالحُ الناس فيها ومنافعهم (88) .

ومنها أن حرها وبردها ليس بالشديد جداً ، وقد يعتدلُ فيها
الفصلان : الخريفُ والربيعُ في أوقانهما ، فيكونُ دخولُ الخريفِ إلى الشتاء
غيرَ متباينِ الهواء ، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء إلى هواء ومن زمان
إلى زمان بالتدرج ، فلذلك قرب اعتدالِ الهواء في أرضها ، وطابُ الثرى
وعذبُ الماء ، وزكت الأشجار وطابت الثمار وأخصبت الزروع وكثرت
الخيرات ، وحسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وأبدانهم
وانفتحت أذهانهم ، وقلما يخالف بعضهم بعضاً في الخلقة والصور

(85) حمة خولان : هي الحمة التي تعرف بسيدي حرازم تقع على بعد 15 كلم إلى الجنوب
الشرقي منها ، تنبع فيها مياه غنية بالغاز الكاربوني تبلغ حرارتها 35 درجة . وقد شرعت الدولة المغربية
في السنين الأخيرة في تجهيزها وتزويدها بالمرافق العصرية التي تجعل إقامة المستحمين فيها مريحة .

(86) حمة وشتانة : تقع هذه الحمة خلف جبل زالغ غير بعيد عن باب وشتانة ، ومياهها دافئة
غنية بمادة الكبريت ، لكنها ضعيفة ، فلذلك قصر النفع بها على السكان المجاورين لها والمارين بها .

(87) حمة أبي يعقوب : حمة واقعة في الشمال الغربي من فاس على بعد 15 كلم منها ، تعرف
اليوم بمولاي يعقوب ، تنبع فيها مياه سخنة تشتمل على كميات وفيرة من الكبريت ، يؤمها الناس من
داخل المغرب وخارجه لعلاج الروماتيزم والأمراض الجلدية والزركام الدماغية .

(88) لا تزال بناءات السلطان أبي الحسن المريني ماثلة للعيان حتى الآن بحمة خولان المعروفة
بحمة سيدي حرازم ، وخلفها شمالاً أسس السلطان المنعم سيدي محمد بن يوسف العلوي داراً كان ينزل
بها عند مهبطه للحمة للاستحمام ، وقد وسعها خلفه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

والجمال والتنظيف ، حتى فضلوا الناس في العلوم والصناعات والمعرفة بأنواع التجارات .

ومنها أن أهلها في العادة أقل خلافاً على أمرائهم ، وأكثر طاعة لحكامهم وولاتهم .

ومنها قربها من وادي سبو الذي تسير منه القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم، وتطلع أيضاً منه إلى ملقى واديهـا. وقد كانت دار صناعة لإنشاء القوارب والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملقى وادي فاس في أيام الخليفة عبد المومن الموحدي حين أراد الوجهة لفتح المهديـة سنة اثنتين وخمسين وخمسة ، قيل انها كانت عشرة ، كذا ألفي بخط الفقيه محمد بن القاضي أحمد ابن الميمون الفشتالي، وكذلك أمر مولانا المتوكل أبو عنان (89) رحمه الله بإنشاء جفنين اثنين أحدهما شيطي بجر مئة وعشرين مجذافاً، والثاني شلير بجر مئتين مجذافاً بمنزل خولان ودفعاً بوادي سبو إلى أن وصلا لمعمورة سلا في شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة. وقد جلب لمولانا أمير المسلمين أبي الحسن برّد الله ضريحه من نظر ألمرية ببلدة من الرخام الأبيض زنتها مئة قنطار وثلاثة وأربعون قنطاراً، وسقت من ألمرية إلى بلد العرائش إلى أن طلعت بوادي قصر عبد الكريم، وحملت منه على عجل الخشب تجرها القبائل والرؤساء إلى أن وصلت منزل أولاد محبوبة الذين على ضفة وادي سبو، ووسقت منه أيضاً إلى أن وصلت إلى ملقى وادي فاس، وحملت منه على عجل الخشب أيضاً بجرها الناس إلى أن وصلت إلى مدرسة الصهريج التي بعدوة الأندلسيين، ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام إلى مدرسة الرخام (90) التي أمر ببنائها مولانا أمير المسلمين أبو الحسن رحمه الله

(89) السلطان أبو عنان : فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، يكنى أبا عنان ، وبكنيته يعرف ، ويلقب بالمتوكل على الله ، ولد بفاس في 12 ربيع الأول عام 729 ، وبيع في حياة أبيه بتلمسان وكان خليفته بها . يوم الثلاثاء من مئذ ربيع الأول عام 749 ومات مخنوقاً يوم السبت 28 ذي الحجة عام 759 قتله وزيره الحسن بن عمر النفودي ، كان فارساً شهماً بطلاً شجاعاً فقيهاً ينظر العلماء العلة فيصيب ويخطئهم ، فصيح القلم كاتباً مرسلأً بليفاً بارع الخط . حقق اصعالا صرانية عظيمة ببلاد المغرب العربي على صغر منه ، وقصر مدته .

(90) هي التي تعرّف اليوم بالمدرسة المصباحية .

بجوفي جامع القرويين، وهي التي بوسط صحنها الآن ، وكان جلبها من
المرية سنة خمس وعشرين وسبعمئة . فان قيل : كيف يتوصل الى وزنها
؟ فاعلم ان الذين جلبوها لما أرادوا تفريغها من الجفن بالقصر المذكور عُلِّمَ
(91) حَدُّ الماء ، ثم فرغت وشحن في موضعها قناطرُ من الرمل بالوزن
شيئاً فشيئاً الى أن بلغ الماء حَدَّ ما عُلِّمَ في قاربها ، ثم فرغ الرمل ووزن
فَعُلِمَ بذلك وزنها ، كذا ذكر بعضُ الشهود الذين حضروا لذلك وكتبوا بذلك
رسماً وعلم وطولع به مولانا أبو الحسن رحمه الله . وكذلك فَعُلِمَ بأبواب
المهدية التي صنعت من حديد في أيام عبيد الله التي زنة كل واحد منها ألف
قنطار على ما ذكره البكري . وكان مولانا أبو الحسن رحمه الله يأمرُ بدفع
الأحمال الكثيرة من خشب الأرز من منزل خولان الى معمورة سلا على
صفة يعلمها البحريون .

ونهرُ سبو ينبعثُ من عنصر في مغارة دمتة مهولة في شعراء
غامضة ببلاد فازاز (92) الى أن يمرُّ على بني واريثن . وهذه العينُ لا
يدرك لها قعر ، وللبربر المجاورين لها تجاريب ، منها أن المريض إذا أرادوا
أن يعلموا هل يبرأ أو يموت حملوه لرأس العين للموضع المهول فيغطسونه
فيه حتى يقرب أن يطفئ (93) ، ثم يخرجونه ، فان خرج على فيه دم
فيستبشرون بحياته ، وان لم يخرج من فيه دم أيقنوا بهلاكه ، وهذا عندهم
متعارف لا ينكر ، قاله صاحب (الاستبصار) . وهذا لا يفعله الا جاهل ،
وان فعله أحدٌ بأحد فمات فانه يقتصُّ منه شرعاً ، وما سوى ذلك من فصول
هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة والتجربة .

(91) بالتشديد اي وضعت له علامة .

(92) فازاز : اسمُ الجبال الواقعة خلف مكناس والتي فيها الحاجب وأزرو وخنيفرة .

(93) أي نحمد أنفسه .

وَيُصَيِّدُ من وادي سبو الشابل الكبير ، يطلع من معمورة (94) سلا الى رأس عين سبو ، ويتصيد فيه أيضاً الحوت الكبير المعروف بالقرب (95) يكون في زنته القنطار الواحد وأزيد . ويوجد فيه الحوت المعروف بالشولي ، تصنع منه الألوان بأصناف البقل فلا تشم فيه رائحة سمك .

ومنها ميل الناس لسكنائها ، فقد سكنها جملة من أصناف الناس وأهل الكور والأمصار ، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، قليل من أهل بلاد ولا اقليم الا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف ، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من بلدان الدنيا ، وأنتها التجارات وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر ، وسيقت إليها خيرات الأرض ، وجمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت فيها بركات العالم ، وذلك ببركة الإمام إدريس رضي الله عنه وبركة دعائه لأهلها ، وبالله التوفيق لا رب سواه .

94 المعمورة : تعرف اليوم بالمهدية ، وهي واقعة على الضفة الجنوبية لنهر سبو عند مصبه في المحيط الأطلسي على بعد 40 كلم الى الشمال من الرباط ، وهي قرية عتيقة حلت محل مستعمرة قرطاجنية ، ولما جاء الاسلام انتعشت ولاسيما في أيام الدولتين المرابطية والموحدية حيث اشتهت على الضفة الوادي الملاصقة لها دوز لصناعة السفن التجارية والحربية ، كما بنيت قصبتها وحصنت للحيلولة دون هجوم الأساطيل النصرانية على الشواطئ المغربية ، وفي سنة 1515 مثل أمامها اسطول برتغالي يتركب من 200 سفينة نزل جنوده الى البر واحتلوا القصبه ، ولكنهم طردوا بعد مدة وجيزة ، ثم غرّتها إسبانيا سنة 1614 م باسطول يتألف من مئة سفينة ، وظلوا بها الى أن طردهم السلطان الجليل مولاي اسماعيل بن الشريف ، وفتح مرساها للتجارة مع الخارج ، ولكن شأنها بدأ يضعف الى ان انتعشت قليلا في بداية هذا القرن ، ثم ضعفت نهائيا عند انشاء مرسى القنيطرة ، ولكن ساحلها رملي جميل تعمره الأسر في فصل الصيف للاصطياف .

95 ما زال هذا النوع من السمك معروفا باسمه الى اليوم ، وهو يكبر ويصغر حسب فصول السنة والموالد التي يولد فيها . ولا يبالغ الجزنائي في زنته .

الباب الثاني

في ذكر من أدارها بالأسوار وزاد فيها الزيادات
وذكر جامعها العتيقن وما انتهت إليه من الدور والأرحى والحمامات

لم تزل مدينة فاس كلاًها الله تعالى من حين أسست - دار فقه وعلم
وصلاح ودين ، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ، ومركزها وقطبها ، وهي
كانت دار الأدارسة الحسنيين الذين اختطوها ، ودار مملكة زناتة وغيرهم
ممن ملك المغرب في الاسلام ، ونزلها لمتونة في أول ظهورهم على
المغرب ، ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا إليها لقربها من بلاد الصحراء ،
ثم أتى الموحدون بعدهم فنزلوا مراكش واتخذوها دار ملكهم لقربها من
بلادهم ، ولكونها في جوارهم وبين قبائلهم ، كذا قاله صاحب
(المقياس) وغيره .

وما زال الأمراء والملوك في أثناء ذلك يزيدون البناء بفاس الى أن
صار الناس يبنون بأرباض المدينتين ، واتصلت العمارات من كل الجهات
الى استقلال أيام زناتة . فأدار منهم دوناس (96) بن حماسة بن المعز بن
عطية بن زيري الأسوار على جميع أرباضها من كل الجهات ، وبنى بها
المساجد والفنادق والحمامات وغير ذلك ، وصارت مدينة واحدة ، الى أن
ولي بعده ابنه الفتوح وعجيسة ، فحصن الفتوح عدوة الأندلسيين ، وبنى

(96) دوناس بن حماسة بن المعز بن عطية المغراوي أحد ملوك زناتة ، ولي فاس وأحوازها
بعد وفاة أبيه سنة 440 وكانت أيامه أيام هجرة ورخاء قضاها كلها في بناء فاس وتجديدها وترميمها ولم
يأضلل بشيء غير البناء حتى تمصرت فاس وصارت من الحواضر الكبرى ، توفي بها في شوال عام

بها قصبة لسكناء بالموضع المعروف بالكذان (97) ، وفتح بالعدوة باباً سماه باسمه ، وحصن أيضاً عجيسة عدوة القرويين ، وبنى بها قصبةً لسكناء بعقبة الصعتر وفتح هناك باباً سماه باسمه ، وكانت بين الأخوين عداوة ، وصار القتال بينهما وبين أهل العدوتين ، وكان قتالهم بالموضع المعروف بكهف الوقادين ، وكثر الهرج بسبب ذلك في أرض المغرب ، واشتد الغلاء ، الى أن ظهر أمر لمتونة في أطراف المغرب ، وظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله . ولما ظفر به كره أن يبقى الباب باسمه فأمر بتغيير ذلك وترك اضافته اليه ، فأسقط الناس حرف العين من عجيسة وأدخلوا عوضاً منها الألف واللام فقالوا باب الجيسة وبقي كذلك الى الآن ، وبعد أن ظفر بأخيه أتاه لمتونة فنزلوا عليه وحاصروه ، وتخلي عن المدينة فولّيا معنصر ابن عمه ، الى أن دخلها لمتونة وقتلوا من بها من زناته .

وفي أيام لمتونة هدمت الأسوار التي بُنيت أيام الأدارسة الفاصلة بين العدوتين وبين أرباضهما ، وأصلح السور الذي بأعلا الوادي الكبير بقرب حوض السفرجل ، والسور الذي بأسفله حيث هي الرميّة الذي كان بناه دوناس حين أدار الأسوار على سائر أرباضها ، وجعل في ذلك أقواساً بشبابيك من خشب الأرز بالعمل المحكم لدخول الماء وخروجه ، وكان جعل بين العدوتين قناطر للمجاز من كل عدوة إلى الأخرى . الأولى قنطرة أبي طوبة (98) التي جدد بناءها مولانا أمير المسلمين أبو سعيد رحمة الله ، والثانية قنطرة أبي برقوقة (99) والثالثة قنطرة

(97) الكذان في اللغة الحجارة الرخوة وربما كانت نخرة ، وحى الكذان ما زال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم من عدوة الأندلسيين ، وسُمّي كذلك لوجود الكذان به نظراً لقربه من وادي بوخرارب .

(98) هي القنطرة الواقعة خارج باب الجديد على وادي بوخرارب ، وقد أسست قنطرة أخرى بينها وبين قنطرة أبي برقوقة ، وهي قنطرة بوعجارة ، وذلك في عهد السلطان المرحوم سيدي محمد بن يوسف العلوي .

(99) تعرف اليوم بقنطرة الرصيف ، ومنها يدخل لزنتة جزاء أبي برقوقة .

باب السلسلة (100) ، والرابعة قنطرة الصباغين (101) ، والخامسة قنطرة كهف الوقادين (102) ، والسادسة قنطرة الرميّة (103) ، وحين جاء السيّل العظيم منّة خمس وعشرين وسبعمئة حمل قنطرة باب السلسلة وما والاها ، فأمر مولانا أمير المسلمين أبو سعيد رحمه الله ببناء قنطرة باب السلسلة وقنطرة الصباغين فبنيتا على حالتيهما الآن ، وبنيت قنطرة كهف الوقادين على يدّي من تطوع بذلك من المسلمين ، وبقيت قنطرة الرميّة مهدومة إلى الآن ، وما زال كبير لمتونة وأميرها يوسف بن ناشفين يؤكد في زيادة المساجد بفاس وسقاياتها وحماماتها وخاناتها وإصلاح أسوارها ، وأقدم من قرطبة جملة من صنّاع الأرحى فبنوا منها كثيراً إلى أن انتهت إلى ما يذكر أن شاء الله تعالى . وفي أيامه صارت العدوتان قطراً واحداً ، وفي أيام ولده بُني سور القوارجة التي بين باب الجيسة وباب يصلتين (104) على يد قاضيه عبد الحق ابن معيشة بمال وظفه على أهل مدينة فاس حسبما ذكره صاحب (المقياس) .

وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمئة أمر الأمير عبد المؤمن بن علي (105) بهدم أكثر أسوار فاس ، وقال : إنا لا نحتاج إلى سور ،

(100) تعرف اليوم بقنطرة الطرافين ، وهي تصل زنقة باب السلسلة بزنقة الفخالين .

(101) تعرف هذه القنطرة اليوم بقنطرة الصباغين ، ويقنطرة سباط الهيلريين وعن يمين الخارج منها من عدوة القرويين تكاكن الصباغين الأثرية التي أنشأها بنو مريين ، وقد ظلت تلك التكاكن تقوم بالصبح منذ العصر المريني إلى اليوم ، لكن تكاكنها بدأت في السنين الأخيرة تتحول إلى مهن أخرى غير الصباغة .

(102) هي القنطرة المعروفة اليوم بقنطرة بين المدن .

(103) لا وجود لهذه القنطرة اليوم ، إذ لم يبق أي واحد من الملوك والأمراء على بنائها منذ نهضت سنة 725 هـ .

(104) ما زال حي عين يصلتين معروفاً إلى اليوم بهذا الاسم في عدوة القرويين ، ولم يكن به باب إلى فتح منذ أربعة أعوام عندما أنشئ طريق للسيارات الجديد الواسع الرابط بين باب الجيسة وباب المحروق .

(105) عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي : مؤسس الدولة المرحدية بعد موت شيخه محمد المنهدي بن تومرت داعية الموحدين ، ولد بناجرة قرب ندرومة بجبال برارة عام 495 ويوبغ بعد وفاة المنهدي سنة 524 هـ وصفاً له الملك عام 541 وتوفي عام 558 وحمل إلى تينمل فدفن بها إلى جنب قبر المنهدي .

إنما أسوارنا أسياقنا وعدلنا ، وبقيت الأسوار كذلك إلى أن بدأ ببناء ما همم يعقوب المنصور ، وكمله ولده محمد الناصر ، وبني قصبة الوادي (106) التي بها الآن ، وكذلك بني باب الشريعة على حالته الآن . كما بني مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ، سور زيتون ابن عطية (107)، وأقام البرج العظيم ، هناك وكتب فيه اسمه .

وبفاس الآن من الأبواب : باب الفتوح ، وباب الخوخة ، وباب بني مسافر ، وباب الجيسة ، وباب يصلتين ، وباب الشريعة ، وهو باب يدخله الفارس بالعلم العالي ، والرامي بالرمح الطويل ، من غير أن يميل العلم ولا ينتهي الرمح لارتفاعه . وسمي باب المحروق من أجل أن العبيدي القائم بجبال ورغة لما أن ظفر به وقتل علق رأسه على باب الشريعة المذكور وأحرق جسده في وسطه وذلك يوم ركبت مصاريعه بأمر الأمير محمد الناصر بن المنصور سنة ستمئة ، وباب المطمر (108) المتصل من أبوابها بالقصبة ، وباب الوادي (109) الذي هو لدخول الخلفاء وخروجهم المتصل أيضاً بالقصبة ، وباب الحديد ، وباب زيتون ابن عطية ، وباب الجيزيين ، والمفتوح منها الآن خمسة ، وسائرهما غلق في أيام المجاعة .

وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن

(106) هي قصبة كانت موجودة بباب بوجلود الحالي ، ولا يزال أحد أبراجها مثلاً حتى الآن للعيان ، وهو ملاصق لجامع بوجلود . وبهذه القصبة كان يسكن ملوك بني مرين قبل بناء المدينة البيضاء : فاس الجديد .

(107) زيتون ابن عطية : هو الزيتون المغروس خارج باب الجديد . ويسمى وادي فاس في هذا المكان وعند دخوله إلى المدينة منه بوادي الزيتون إلى اليوم ، وسيأتي للمؤلف في الفقرات التالية أن باب زيتون ابن عطية هو باب واقع بين باب الحديد وباب الجيزيين الذي هو باب الحمراء اليوم . فتبين أن يكون باب زيتون ابن عطية هو الباب الجديد .

(108) يظهر أن هذا هو الباب الصغير المجاور لباب بوجلود الحالي .

(109) لعله هو الباب الذي يصل قصبة بوجلود بجنان السبيل ، الواقع بين ثانوية مولاي ادريس وقصر البطحاء.

المغرب ، لاسيما في أيام المنصور الموحدي (110) وولده محمد الناصر (111) كانت المساجد فيها سبعمئة وخمسة وثمانين ، ودور الوضوء اثنتين وأربعين ، والسقايات ثمانين ، والحمامات ثلاثة وتسعين ، وأرحى الماء أربعئة واثنين وسبعين ، ودور السكنى تسعة وثمانين ألفا ومئتين وستة وثلاثين ، والمصاري (112) سبع عشرة ألفاً وإحدى وأربعين ، والفنادق أربعئة وتسعة وستين ، والخوانيت تسعة آلاف ومئتين وثمانين ، وقيسارياتان (113) اثنتان ، واحدة في كل عدوة منها . وداران للسكة واحدة في كل عدوة منها . والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين ، ودور عمل الصابون سبعا وأربعين ، ودور الدباغ ستاً وثمانين ، ودور الصباغ مئة وست عشرة داراً ، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتي عشرة ، ودور عمل الزجاج إحدى عشرة ، وكوش الخبز مئة وخمسا وثلاثين ، وأفران الخبز ألفاً ومئة وسبعين ، وأحجار عمل الكاغد أربعئة ، كل ذلك بداخل المدينة ، ودور الفخارة ثمانئة وثمانين وثمانين بخارج المدينة ، نقل ذلك عن المشرف علي بن عمر الأوسى قال نقلته من خط الغريغر مشرف المدينة في أيام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمئة . وكان إذ ذاك بضفة الوادي الكبير من حيث يتدّى دخوله إليها إلى أن يخرج منها دور الصباغين وخوانيتهم ودور الدباغ والصابون وخوانيت الخناقين والقصابين والسفاجين والمواضع المعدة لطبخ الغزل والفوالين

(110) الخليفة العظيم يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي ثالث خلفاء الموحدين ، يكنى أبا يوسف ، ويلقب بالمنصور ، ولد سنة 545 ويبيع بعد وفاة والده يوسف العسري سنة 580 وتوفي سنة 595 .

(111) محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الملقب بالناصر رابع خلفاء الموحدين ، ولد سنة 576 ويبيع سنة 595 وتوفي سنة 610 وفي عهده حدثت واقعة العقاب التي انهزم فيها المسلمون ، أضعف بعدها أمر الدولة الموحدية ، وانقسمت عرى وحدة أقطار المغرب العربي ، وبدأ النصاري الأسبان يستولون على مدن الجزيرة الأندلسية مدينة مدينة إلى أن صفت لهم في نهاية القرن التاسع الهجري .

(112) جمع مصرية دويرة تبنى فوق الخوانيت ونحوها ، وهو نوع من المنازل كان معروفاً بمصر فنقل إلى المغرب وعرف بنسبته إليها .

(113) جمع قيسارية ، سوق الثياب ، وأصلها قيسرية .

وغيرهم ممن يحتاج إلى الماء ، وبأعلا ذلك أطرزة للحاكة ، ولم يكن بالمدينة واد يظهر ، حاشا الوادي الكبير ، وباقي أنهارها بني عليها حوانيت ودور وبني على ذلك مصار ، ولم يكن بداخلها رياض ولا بستان حاشا زيتون ابن عطية، وخرب أكثر ذلك في أيام المجاعة والفتنة التي كانت في أيام العادل (114) وأخيه المامون (115) ، وذلك عشرون سنة إلى أن ظهرت الدولة المرينية أطل الله أيامها ، ونصر أعلامها فانجبرت البلاد ، وتأمنت الطرق والعباد ، كذا نقل من (الأتيس) .

وأما بناء جامع القرويين والأندلسيين ونكر الزيادات فيهما إلى هذا الوقت والحين - فنذكر أبو القاسم ابن جنون (116) وغيره في (تاريخ فاس) أنه لما كثرت الواردون عليها في أيام الأمير يحيى (117) بن محمد بن إدريس بن إدريس رضي الله عنه كان ممن قدم عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهري القروي ، ونزل بعدوة القرويين مع أهل بلده الذين وفدوا معه ، فمات وترك بنتين وهما : فاطمة المدعوة بأم البنين ، ومريم ، وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب ، ورغبنا أن تصرفاه في وجوه من البر ، فعلمتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس لضيق الجامعين القديمين المذكورين ، فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين، ومريم في بناء جامع الأندلسيين .

أما جامع القرويين فكان الشروع في حفر أساسه للأخذ في أمور بنائه يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين.

(114) محمد بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل سابع خلفاء الموحدين ، ببيع سنة 621 وتوفي سنة 624 .

(115) إدريس بن يعقوب ثامن خلفاء الموحدين الملقب بالمامون ، ببيع سنة 624 وتوفي بمراكش عام 629 .

(116) وفي نسخ جنون ، قال السيد عبد السلام ابن بسودة في (دليل مؤرخ المغرب) 1 : 37 : لم أقف على وفاته ولا من ترجم له ، ولعله من رجال القرن السادس .

(117) خامس ملوك الدولة الإدريسية ، ببيع في شهر رجب سنة 234 بعهد من أخيه علي بن محمد بن إدريس ، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجدته ، وفي أيامه كثرت العمارة بفاس ، وقصدها الناس من الأندلس وأفريقية وجميع بلاد المغرب .

وكان بموضع الذي بنى فيه أرضاً لعمل الخضر وفيه أشجار لرجل من هواره كان قد حاز ذلك أبوه بوجه صحيح حين أسست المدينة ، فاشترتها منه فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري القروي ودفعت الثمن من مالها الحاصل لها من ميراثها في أبيها ، وتطوعت ببناء الجامع المذكور ، فحفر في أرضه وأخذ منها التراب والكثبان لبنائه ، وحفر بها بئر لأخذ الماء لبنائه ، ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفاء الذي أسسه الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنه بعد مشورة أهل العلم واجتهادهم في ذلك ، وبني من أربعة بلاطات من قبلة الى جوف ، في كل بلاط اثنا عشر قوساً من شرق الى غرب ، وجعل محرابه بمقدم البلاط الذي أمام الثريا الكبرى الآن ، وجعل بمؤخره صحن صغير ، وبمؤخره صومعة حيث هي العنزة الآن ، وتم على نحو ما أرادته ، وذلك بمطالعة الأمير يحيى ، ثم صلت فيه شكراً لله تعالى الذي وفقها لذلك ، ولم يزل على نحو ما بُني في أيام الأدارسة الى أن كثرت العمارات ، واتصل البناء في أرباض المدينة من سائر الجهات ، وجرى أمر زناتة بأرض المغرب في سنة سبع وثلاثمئة فأزيلت الخطبة من جامع الشرفاء لصغره ، وأقيمت بجامع القرويين لاتساعه وكبره ، وصنع له منبر من خشب الصنوبر ، وكان أول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارسي ، وقيل سنة احدى وعشرين وثلاثمئة . وان الذي أقام الخطبة به اذ ذاك هو الأمير حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعي على بعض بلاد المغرب بعد أن كان تغلب عليها مصالة بن حبوس القائم بدعوة الشيعي ، ولم يزل كذلك الى أن تقوى ظهور زناتة بالمغرب باستدعاء الناصر لدين الله لكبرائهم ورؤسائهم ، وإكرام ساداتهم وقضاء حاجاتهم ، وحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم ، ممداً لمن عجز برجاله ، مقوياً لمن ضعف بماله ، إلى أن هوت إليه أفئدة كثير منهم ، بين مصحح في ولايته ، ومستجيب لدعوته ، مغتنم لعطيته ، مستعين بقوته على مدافعة من هذ ركنه من الأدارسة والشيعة ، فقام زناتة بدعوة الناصر لدين الله وتغلبوا على بعض بلاد المغرب ، وبايعه أهل مدينة فاس ممن بايعه حسبما ذكره صاحب (المقتبس) ، فولى عليها عاملاً له من زناتة ، يُعرف بأحمد بن أبي بكر الزناتي ، وكان من أهل الفضل والدين ،

فكتب إلى الناصر يستأذنه في بناء الجامع وإصلاحه والزيادة فيه لحاج الناس لذلك فأنزله ، وبعث إليه بمال كثير من أخماس غنائم الروم ، وأمر أن يصرفه فيه ، فأصلحه وزاد فيه أربع بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق ، وثلاثة من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه ، وجه بمؤخره الصحن الذي به الآن ، وفي غربي هذا الصحن بلاطان ، وفي شرقيه كذلك ، وفي جوفيه بلاط واحد ، بعد أن هدم الصومعة التي كانه به لكونها متطامنة الإشراف وبنى الصومعة التي به الآن .

ولما شرع في بنائها جعل سعة كل وجه واحداً وعشرين شبراً ويصعد لها على مئة درجة ودرجة ، وجعل بابها من جهة القبلة ، وغشي بعد ذلك بصفائح النحاس الأصفر ، وتم العمل في بنائها على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي المذكور في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاثم حسبما كتب في التريفة المنقوشة بها من جهة الصحن ، وجعل في أعلا قبة صغرى ووضع في نروتها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج المذكور سيف الامام إدريس بن إدريس رضي الله عنه

وسبب جعله هناك أن الأمير أحمد بن أبي بكر المذكور لما فر من بنائها اختصم اليه بعض حفدة إدريس في السيف المذكور ، وطلب واحد أن يمتاز به ويحوزة لنفسه ، وطال النزاع في ذلك ، فقال الأمير هل لكم ان تسلموه لي وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا له : وما تصنع به ؟ قال لهم : أجعله في أعلا هذه الصومعة تبركاً به وليكون لكم نكر بسببه ، فقال له : قد وهبناه لك طيبة به نفوسنا ، فجعله في نروتها . وقد نظم شعر الوقت في هذا السيف مقطوعات كثيرة ، فكان أول من افتتح فيه باب المقام للشعراء شاعر هذا الأوان ، وحائز قصب السبق في هذا الميدان ، أحمد بن عبد المنان (118) فقال :

(118) أحمد بن يحيى بن عبد الله بن عبد المنان الخزرجي الفقيه الأديب الكاتب من أهل فارس توفي عام 792.

أنكرَ السيفَ بالمنارِ بفاس قائلٌ إن ذاك داعي اغتمام
لا يرعك الحسام سُل عليها جنةُ الخلد تحت ظل الحسام

ثم تلاه صاحبنا محمد المجري فقال :

يقولون زجراً إن فاساً قضى لها بذلتها سيفُ المنار المشيد
لقد أخطأوا في زجرهم، ضلّ سعيهم، هل للعز إلا تحت ظل المهند؟

ثم تلاه صاحبنا الأستاذ محمد المدعو بمنديل بن أجروم (119) فقال :

شاموا بفاس سيفَ ادريسهم فوق المنار لا لأمر مخوف
بل أشعروا بقول خير السورى جننكم تحت ظلال السيوف

وقال محمد بن عبد الرحمان رحمه الله تعالى :

بسيف منار بفاس غدت محاسنها دانيات القطوف
فيما زاجر الغم عفو الاله وجنته تحت ظل السيوف

وقال أيضاً رحمه الله :

وما خص ادريس المنار بسيفه لغم ، ولكن كي يعم نداؤه
مشيراً أجيوا داعي الله تأمنوا ومن لم يجب داعيه هذا جزاؤه !

وقال الفقيه العدل عبد الرحمان المليبي :

ألم بفاس ولا تسمع لقائلهم سيف المنار كماها ثوب مكتئب
أما ترى الشمس رانت تحت كاتبها والسيف أصدق أنباء من الكتب !

(119) محمد بن محمد بن أجروم الصنهاجي ، يكنى أبا المكارم ، ويلقب بمنديل ظ ترجمته في
جزوة الاقتباس ص 145 ودرة الحجال 2:322.

وقال الأديب المجيد أحمدُ الباغ :

سيفُ ادريس بالمنار بفاس ليس للغم ، لا ولا للمخافه
إنما كان وضعه السيف فيها معلماً أنها مقرُّ الخلافه

وقال الأمير الرئيس الأوحـد اسماعيل بن فرج بن الأحمر (120).

وما السيفُ في رأس المنار لذلة بفاس ، ولكن أمره أيما أمر
رأها ابنُ ادريس مقرَّ خلافة فجرده عزماً لأملكها الغر

وقال الفقيه العدل ادريس ابن رشيد :

سَلْ إدريسُ بالمنار حساماً منبئاً ذاك عن شديد العقاب
داعياً للصلاة إن لم تجيئوا فحقيقُ الجزاء ضربُ الرقاب

وقال صاحبنا الفقيه عبد الغفار :

تكرت ولم أكن للذكر ناس عجائب سيف إدريس بفاس
فلم يكُ بالمنار سدى ، ولكن ليدفع عن حماها كل باس

وقال صاحبنا أبو الفضل ابن باشر رحمه الله :

قل لمن أنكرَ الحسامَ بفاس وادعى الغم قولَ ذي تجريح
سيفُ ادريس في المنار شهيرٌ شهرة الدين بالأذان الصحيح

وقال صاحبنا محمد بن علي الفخار شهر بالحباك :

شهرة المشرقي فوق المنار عزة للورى ودين النبي
سيفُ ادريس مُحمدٌ للأعداي وانتصارُ الملوك في المشرقي

(120) اسماعيل بن أبي الحجاج يوسف المعروف بابن الأحمر الأديب المؤرخ الكاتب توفي سنة

807 ط ترجمته في جنوة الاقتباس ص 99.

وقال عبيد الواحد الزيتوتي :

مَنْ يحسد الناس في فاس يقول لهم يسيف إدريس غم الناس في فاس
تعباً لقائلهم ، بل سيفه شرف علا كما قد علا إدريس في الناس

وقال الأديب سعيد بن إبراهيم الكفاد عُرف بشهبون :

لإدريس سيف أظهر الدين والهدى بأفق منار للأذان تشيِّدا
فمن ظن أن الذل أورثنا به فهل ذل إلا ظالم ضل واعتدى

ما ذكرنا من نظم أصحابنا في هذا السيف غير موافق لما نكر
المؤرخون من كونه لم يجعل هناك إلا لبقاء ذكر الامام إدريس رضي الله
عنه ، وقد نظمت في هذا المعنى :

سيف إدريس منتضى بالمنار لا لغم النفوس والأغيار
إنما جعله هناك ليبقى خالداً ذكره مدى الأعصار

فلنرجع لما كنا بصدد من تكميم الكلام في هذا المنار ، وذكر
الزيادات فيه على وجه التقريب والاختصار .

ثم جعل تحت القبة المذكورة قبة أكبر منها لجلوس المؤننين ،
ومبيت المراعي منهم لأوقات الليل وانصداع الفجر . لاقامة الأذان ، وبندائه
يقتدي سائر المؤننين بصوامع المدينة يقلدونه على العادة المنتقلة من قديم
الزمان ، ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة بالحكمة ، وفي وسط
كل بلاطة قائم يستدل بامتداد ظله على خطوط في البلاطة بطول أزمان
النهار ومرور ساعاته ، وقد نصبها أهل العلم بالهيئة عن نظر وموافقة وهي
لهم من أفضل الهدايا ، وفي عطفات أدراجها سرج زاهرة يمر عليها الليل
كله يستعان بها على رعي الفجر وأجزاء الليل ، ولم تزل كذلك إلى أن ولي
القضاء الفقيه الخطيب محمد بن أبي الصبر أيوب بن يكنول ، فعمل في
أيامه المعدل محمد ابن الحباك بنياً من فخار بالقبة العليا وفيه الماء

وجعل على وجه الماء طنجيراً من نحاس فيه خطوط وأثقاب ، ويخرج منها الماء بقدر معلوم إلى أن يصل للخطوط فتعلم بذلك أيضاً أوقات الليل والنهار في أيام الغيم ولياليها ، وذلك في سنة خمس وثمانين وستمئة ، ثم غفل عنه وأهمل ، وفي السنة المذكورة شرع في إصلاح الصومعة المذكورة وتبييضها بالجبس والجير بعد أن سمر فيها من خارجها ثلاثة قناطير وربع قنطار ونصف ربع قنطار من مسامير الحديد ، ودلكت بعد تبييضها حتى صارت كالمرآة المصقولة بعد أن كانت الطيور تعشش في فرج كانت بها ، فانقطعت أذايتها ، وبني أيضاً الغرفة المطللة على باب الصومعة وانتقل إليها مبيت المراعي للأوقات وجلس القومة بها . أما المنجانة التي صنعت بهذه الغرفة لمعرفة الأوقات فإن الشيخ المعدل محمد بن عبد الله الصنهاجي النطاع أحدثها هناك ، ورسمها له محمد بن الصدينية القرطسوني ، وتطوع بعض المسلمين بالإتفاق فيها سنة سبع عشرة وسبعمئة . وذلك أنه جعل في ركن الغرفة عن يسار المستقبل جباً من خشب الأرز ، وجعل في داخله بدنتين كبيرين من فخار أحدهما أعلا من الآخر ، وجعل الماء في الأعلى منهما ، وبأسفله أنبوب من نحاس مموه بالذهب محكم العمل يهبط منه الماء في البدن الأسفل بقدر معلوم ، وجعل جوف الجبج مغطساً ، ورسم في جانبي التفطيسة بروج الأفلاك والأشهر العجمية والساعات ودقائقها وجعل في الوسط مسطرة رسم فيها أيضاً الساعات ودقائقها وأوقات الليل والنهار وجعل المسطرة معلقة في خارج من الجبج يجري في حفر التفطيسة المذكورة طالعاً وهابطاً ، وجعل على وجه الماء الذي يجتمع في البدن الأسفل جسماً مجوفاً من نحاس على هيئة الأترجة معلقاً في الطرف الذي يلي من الغلور ، فإذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في البدن الأسفل طلع طرف الغلور الخارج من التفطيسة وطلعت بطلوعه المسطرة ، وكلما طلعت بطول الأزمان ظهر فيها الوقت المطلوب ، فإذا تمّ النهار والليلة المقبلة له رد الماء من البدن الأسفل للبدن الأعلى ، وعلق المسطرة كما كانت ، ثم غفل عن ذلك إلى أن تقدم للنظر في الأوقات والرعاية للمؤننين محمد بن محمد بن العربي رحمه الله سنة سبع وأربعين وسبعمئة ، فجدد المنجانة المذكورة

على وجه اتقن من الوجه الأول ، ولم يزل يجتهد في ذلك صدر اiale مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله ، فأكثر الاجتهاد في خدمته ، وجعل خارج الجبح المذكور تجاهة المستقبل له دائرة وعليها شبكة كشبكة الأسطرب ورسومه تدور متى طلعت المسطرة المذكورة ويعرف بها أيضاً أوقات الليل والنهار ، وأعد هناك مع ذلك رمليات لاختبار الأوقات ، وجملة أسطربات موقف ذلك على من يستعمله وينظر فيه أجزاء الليل والنهار .

وقد صعد مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله الصومعة ليعتبر في المدينة وترتيبها ، ووقف على المنجاة وما اتصل بها فاستحسنه وأنعم على الناظر فيه بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام وذلك في سنة تسع وأربعين وسبعمئة . وأمر نضّر الله وجهه بأثر ذلك أن يجعل بأعلا الصومعة المذكورة صار وينشر فيه علم أبيض في أوقات صلاة النهار وفنار فيه سراج زاهر لأوقات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد عن المدينة ولم يسمع النداء ، وفي ذلك اعتناء بأمور الأوقات وبما يتعلق بها من وجوب الصلوات ، ويتركب عليها من الحقوق في وجوه شتى من العادات والعبادات.

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق إرشاد
بأنون من كل أوب نحوه فلهم لديه للرشد إصدار وإيراد

وقد نظم في معنى ذلك صاحبنا الفقيه محمد بن عبد الرحمان المتقدم الذكر:

سر فاس لفارس قد بدا في وضع ادريس بالمنار حسامه
لهم العز للنداء فأورى ناره معلماً وشال علامه

وقال عبد الواحد الزيتوني المتقدم أيضاً :

رفع الفنار أبو عنان فارس أعلام المنار وزاد فيه علاما
شهر الأذان بذاك شهرة رافع لظهور دين الله فيه حساما

ومما قيل في المنجاة لأحد الشعراء:

روح من الماء في جسم من الصفر مولد بلطيف الحسن والنظر
مستعبر لم يغب عن عينه سكن ولم يبت من نوي ضغن على حذر
وفي أعاليه حسيان يفضله للناظرين بلا ذهن ولا فكر
إذا بكى دار في أحشائه فلك خاف المسير ، وإن لم يبك لم يدر
مترجم عن موافيت يخبرنا بها، فيوجد فيها صادق الخبر
تقضى بها الخمس في وقت الوجوب وإن غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأوقات ثورقتي عرفت مقدار وقت السهد والسهر
مجدد كل ميعات تخيرته نوو التميز للأسفار والحضر
ومخرج لك بالأجزاء الطفها من النهار وقوت الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صوره ياحبذا بدع الأفكار في الصور

وقد صنع مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله منجاة بطيقان
وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التي أحدثها بسوق القصر
من فاس (121) ، وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتفتح
طاق ، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين
وسبعمئة على يد مؤفته علي بن أحمد التلمساني المعدل .

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه كيفية المنجاة
بأوعب ما يكون في كتاب (المقصد الأسنى ، في شرح أسماء الله
الحسنى) عند شرحه اسمه تعالى (الحكيم) فانظره هناك .

يذكر أن بعض الخلفاء كان يشتد على قومة الأذان في أن لا يصعد
للأذان نهراً إلا من عرفت عفته ووثق به في غض بصره حوطة على حرم
المسلمين والاطلاع على عوراتهم ، وخوف فتنة تحدث بسبب من لا يؤمن
في ذلك . وكان بعض من ابتلي بالنظر في الحسبة يأمر المؤننين

(121) من المدرسة المتوكلية المعروفة اليوم بالمدرسة البوعنانية الكائنة في طاعة فاس ، وقد
بناها لقاضي حضرته ومنشئ بيعة القاضي محمد المقرئ التلمساني ، والطيقان والطسوس التي يشير
اليها المؤلف ما زالت موجودة إلى الآن ، لكن العمل بها بطل من زمن طويل .

بعمل عصائب على أعينهم حين الأذان بالتهار ، وقد جرت هيجات وقتن بسبب ذلك يطول نكرها ، فمن تلك الهيجة التي كانت بمراكش بسبب اطلاع مؤذن صومعة الكتبيين على دار ابن جامع ، وهي هيجة مشهورة لا يصع شرحها لما فيها من ذكر المجانة ، ومن تلك الهيجة التي كانت بفاس في يوم الجمعة الثاني عشر لشهر ربيع الأول سنة ست عشرة وسبعمئة بسبب الرجل الذي أزال السيف من أعلا فروتها ، وهي أيضاً مشهورة . وقال أبو العباس المبرد في كامله كان سبب هدم خالد بن عبد الله منارات المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من موالي الانصار ، وهو هذا :

ليتني في المؤذنين حياتي انهم يبصرون من في المطوح
فيشيرون أو تشير إليهم باللهوى كل ذات دل مليح

وأما القبة التي على العنزة فانه لما تغلب المظفر بن المنصور أبي عامر حاجب الخليفة المؤيد على فاس بعد مهاوشته ليزري (122) سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة بنى القبة المذكورة ، ونصب أعلاها طلسمات وتماثيل كانت قبل ذلك على رأس القبة التي كانت بأعلا المحراب الأول بالجامع المذكور مما صنعه الأوائل ، ومنه ما صنع في أيام الشيعة ، فجعل الطلسمات على أعمدة من حديد ، منها طلسم الفار على صورة الفار ، فكان الفار لا يدخلها ولا يعيش بها ، وان دخلها اقتضخ وقتل ، ومنها طلسم العقرب ، وهو على صورة طائر منقاره يشبه ننب العقرب ، فكانت العقرب لا تدخله ، وان أدخلها أحد في ثوبه خمدت فلا تتحرك ، ومنها طلسم في تفانج من نحاس

(122) زيري بن عطية بن عبد الله انزلاني المغراوي الخزري ، ملك على زناتة سنة 368 وتشييع لأموبي الأنطلس ، فقام في المغرب بدعوة هشام المؤيد على يد حاجبه المنصور بن أبي عامر ، بعد انقطاع ملك الأدارسة وبنى العافية المكناسيين فيه ، ثم بلغ المنصور أنه يتكلم فيه بالقبح ، فجهز اليه الجيوش وجوزها الى المغرب لمحاربته تحت قيادة ابنه المظفر ، فالتقوا بعوز طنجة فانهزم زيري وطارده جند الأنطلس حتى ألجأوه للدخول الى الصحراء ، واستولى عبد الملك على فاس يوم السبت بمنسلخ شوال سنة 387. ونوفي زيري سنة 391 .

للحية فلا تدخله ، وإن دخلته اقتضحت وقُتلت . وما يوجد فيه من الحيات فهو من عمار الجن ، وهذا لا ينكر ، فإن الله سبحانه قد أجرى عادة في ارتباط بعض الأشياء ببعضها إذا كانت في وقت مخصوص ، ولم يعلم قط على قديم الزمان وحديثه من لدغته فيه حية ولا عقرب ، وقد تعطل ذلك كله منذ أعوام ، وترك هذه الصور وإزالتها كان أولى ، لأنها ذات ظل ، وذلك محرم في السنة إذا كانت كاملة الخلقة .

وأما السقاية والبيلة المستطيلة التي عن يسار الخارج من باب الحفافة الجوفية فإن المظفر بناهما أيضاً وجلب الماء لهما من وادي حسن الذي بأعلا المدينة من ناحية باب الحديد .

وأما المنبر الذي صنعه المظفر بن المنصور بعد المنبر الذي صنع في أول ظهور زنادة فكان من عود الأبنوس والعناب وكان مكتوباً عليه :

باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً

هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الإمام عبد الله هشام المؤيد بالله أطل الله بقاءه على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور بن أبي عامر وفقهم الله تعالى ، وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

فكان يخطب عليه إلى أيام علي بن يوسف بن تاشفين فترك وصنع المنبر الذي به الآن علي يد القاضي عبد الحق بن عبد الله ابن معيشة الغرناطي ولم يتم في أيامه ، وتم بعد صرفه عن قضاء فاس على يد الفقيه القاضي بعده عبد الملك بن بيضاء القيسي ، وصنع من عود الصندل والأبنوس والنارنج والعناب وعظم العاج ، وكان الذي صنعه ونجره الشيخ الأديب أبو يحيى العتاد ، وكان ممن عمر عمراً طويلاً حتى زاد على المئة سنة ، وكان إماماً في اللغة والشعر ، روى عنه جملة من أهل فاس وغيرها ، وكان جملة النفقة فيه من مال الأحباس المستخرج من النظار عليه ثلاثة آلاف دينار وثمانمئة دينار وسبعة أعشار دينار فضة ، وكان له غشاءان

أحدهما من جلد معزي والثاني من مقبرة كتان يز الان عنه في كل يوم جمعة،
وذلك في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة حسبما كتب في أعلا ذروته
بالعاج .

والخطباء الذين خطبوا عليه منذ صنع في آخر نولة لمتونة وفي
الدولة الموحدية وصدر الدولة المرينية أطالها الله الى زماننا هذا : أولهم
الخطيب المبارك الصالح مهدي بن عيسى ، وكان من أحسن الناس خلقاً
وخلقاً وأفصحهم لساناً وأكثرهم بياناً ، وكانت موعظته تؤثر في القلوب
لصدقته وإخلاصه ، وكان يخطب في كل جمعة بخطبة لا تشبه أخرى ، فأقام
يخطب مدة من خمسة أشهر ، ثم دخل الموحدون المدينة فصرفوه عن
الخطبة ، وقدموا مكانه الفقيه الصالح علي بن عطية لأجل حفظه للسان
البربري ، لأنهم كانوا لا يقدمون للخطبة والامامة الا من يحفظ التوحيد
باللسان البربري ، فخطب به إلى ان توفي في ثامن ذي القعدة سنة ثمان
وخمسين وخمسمئة . فخطب بعده الفقيه الصالح الورع يسكر (123) بن
موسى الجورائي ، وهو أحد أشياخ المغرب في الدين والفضل والزهد
والورع والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات كثير قيام الليل ، ولا سيما
في رمضان ، قيل له ذات ليلة لو روت نفسك قليلاً وأعطيتها حظها من
النوم لكان أوفق لك ، فقال انما أريد راحتها ، ثم أنشد :

لا تجعلن رمضان شهر فكاة تلهيك فيه من الحديث فنوته
واعلم بأنك لن تنال ثوابه حتى تكون تصومه ونصوته

(123) يسكر بن موسى الجورائي ثم الغفجومي . نشأ بتاجنيت من ناحية تادلة ، ثم انتقل الى
فاس واستوطنها ونفقه بها على أبي خزر يخلق الأوربي وسمع من أبي الربيع التلمساني وصاحب علي
بن حرزهم ، ولقي أبا يعزى وأكثر من زيارته ، وكان اماماً عالماً في الفقه المالكي آية في الفقه عليه
المدار فيه بمدينة فاس في عصره ، وله حواشي على المدونة ، وكان مع غزارة علمه ورعاً فاضلاً صالحاً
ذا جد واجتهاد في العبادة ، توفي ضمنى يوم السبت 21 ذي القعدة سنة 598 ودفن بالقلة خارج باب
الجهمة ، وهي التي فيها قبور المتأخرين من ملوك بني مرين . أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس
1 : 164 و نيل الابتهاج ص 160 والنشوف ع 171 .

يُحْكِي عَنْهُ أَنْ أَحَدَ عَمَالِ الْمُوَحِّدِينَ بِفَاسَ كَتَبَ لِلْخَلِيفَةِ بِمِرَاكُشٍ أَنْ أَبَا مُحَمَّدٍ يَسْكُرُ لَا يَدْعُو لَهُ ، وَوَصَّلَهُ الْخَبْرُ بِذَلِكَ فِي حَالِ حَرْجٍ ، فَبَعَثَ مِنْ حِينِهِ بَأَنْ يُشَخَّصَ ، وَكَانَ مَعْنَى وَقْفٍ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدُ الصَّقَالِبَةِ وَبِيَدِهِ أَطْرَ بَزِينٍ مِنْ حَدِيدٍ ، فَأَخَذَهُ مِنْهُ وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ ، وَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ بِهَذَا أَقْتُلْهُ ، فَقَدَّرَ أَنْ ضَرْبَ جِبْهَةٍ نَفْسِهِ بِطَرْفِهِ ، فَانْبَعَثَ مِنَ الضَّرْبَةِ نَمَ كَثِيرٌ ، فَبَادَرَ الْأَطْبَاءُ لِقَطْعِ دَمِهِ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَنْوِيَةِ فَلَمْ يَنْقَطِعْ ، وَكَانَ مَعْنَى حَضَرَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ أَحَدُ الصَّلَحَاءِ ، فَتَفَرَّسَ فِي ذَلِكَ وَقَالَ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ كَانَ هَمَمْتَ بِسُوءٍ فَتَبَّ مِنْهُ ، فَتَنَكَّرَ إِشْخَاصَ أَبِي مُحَمَّدٍ فَتَابَ مِنْ ذَلِكَ وَبَوَدَّ بَرْدُ الَّذِي بُعِثَ لِأَشْخَاصِهِ ، فَانْقَطَعَ الدَّمُ مِنْ حِينِهِ .

وَكَانَ لَهُ نَفْعَ اللَّهِ بِهِ غَنَمٌ وَمَاشِيَةٌ كَثِيرَةٌ بِبِلَادِهِ الَّتِي نَشَأَ بِهَا وَرَثَتُهَا عَنْ أَبِيهِ ، فَكَانَ يَتَصَدَّقُ بِكَثِيرٍ مِنْهَا ، وَكَانَ يَوْمَ خُطْبَتِهِ لَهُ يَسْتِيرُ عَجْمَةً فِي لِسَانِهِ ، فَرَأَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْدَمَ خَطِيباً الْفَقِيهَ الزَّاهِدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ بْنِ زِيَادَةَ اللَّهِ الْمَزْنِيَّ ، وَانْفَرَدَ هُوَ بِالْإِمَامَةِ ، ثُمَّ تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادَةَ اللَّهِ فِي ثَالِثِ وَعَشْرِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةً ، فَخُطِبَ بَعْدَهُ الْفَقِيهَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ بِاسْتِخْلَافِ أَبِي مُحَمَّدٍ يَسْكُرُ لَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ لَشَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِئَةً ، فَخُطِبَ بَعْدَهُ الْفَقِيهَ الصَّالِحُ الْوَرَعُ مُوسَى الْمُعَلِّمُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِخْلَافِ أَبِي مُحَمَّدٍ يَسْكُرُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَ مُوسَى هَذَا يَعْلَمُ الصَّبِيَّانَ فِي الْمَكْتَبِ الَّذِي بِقَنْطَرَةِ أَبِي الرَّعُوسِ ، وَكَانَ لَهُ صَوْتٌ شَجِيٌّ حَسَنٌ يُكِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَلَمَّا كَلَفَ الْخُطْبَةَ دَاخِلَتْهُ دَهْشَةٌ ، وَأَطْلَقَ صَبِيَّانَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْبُكَاءِ وَالِدَعَاءِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَفْضَحْنِي بَيْنَ عِبَادِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . وَلَمَّا نَادَى الْمُؤْمِنُونَ النِّدَاءَ الْأَوَّلَ لَيْسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَسَارَ إِلَى الْجَامِعِ ، فَقَعَدَ فِي حَجَرَتِهِ حَتَّى الْأَذَانُ ، فَقَامَ وَخُطِبَ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ وَلَمْ يَتَلَجَّلَجْ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمِحْرَابَ فَأَتَى بِالْحِكْمَةِ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ فِي قِرَاءَتِهِ فَبَكَى وَأَبَكَى ، فَلَمَّا تَمَّتِ الصَّلَاةُ أَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ يُقْبِلُونَ يَدَيْهِ وَيَتَبَرَّكُونَ بِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ خُطِيباً إِلَى أَنْ وَصَلَ الْفَقِيهَ الْقَاضِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ الْهُوَارِيَّ فَكَانَ أَوَّلَ سُؤَالِهِ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ خُطِيبِ جَامِعِ الْقُرَوِيِّينَ ، فَذَكَرَ لَهُ فِيهِ خَيْرٌ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَثِيراً ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْجُمُعَةُ رَأَاهُ فَلَمْ تَعْجِبْهُ صُورَتُهُ وَاسْتَبْشَعَهَا وَقَالَ فِيهِ قَوْلَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَهُ لَوْ سَمِعْتَ خُطْبَتَهُ لَأَعْجَبَكَ ، فَلَمَّا سَمِعَ خُطْبَتَهُ بَكَى وَخَشِعَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ

طلب منه المغفرة والدعاء ، وكان سريع الدمعة كثير الخشوع ، الغالب عليه في أحواله الخوف ، وتوفي أبو محمد يسكر في الحادي والعشرين لذي قعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمئة . وأقام إماماً بجامع القرويين أربعين سنة لم يسه فيها بوجه لكثرة حضوره في صلاته ، ولم يترك عقيباً ، وبثو يسكر الذين بفاس الآن ليسوا من عقبه ، وإنما اشتركوا في الاسم ، واجتمع لموسى الخطبة والامامة إلى أن توفي في عشرين من صفر سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، فخطب بعده ولده الفقيه عبد الله ، وسنه يوم ولي ثمان عشرة سنة ، وكان له حظ وافر من الجمال والعلم والدين والفضل والورع وحسن الصوت ، ولم تكن له صبوة في صغره ، ولم يزل مشتغلاً بطلب العلم منقطعاً للعبادة ، ولما مرض والده موسى قيل له استخلف ولدك للصلاة ، فقال : إن علم الله فيه خيراً فهو يستخلفه ، فلما توفي موسى وحمل إلى قبره ووضع على شفيره للصلاة عليه ضج الناس بالبكاء ، وطلب من يصلي عليه ، فقال قاضي البلد لولده تقدم فصل على أبيك . فتقدم وصلى عليه وانصرف الناس ، وقدم في موضع أبيه واستحسنه الناس ، ولما أتى الناصر بن المنصور مدينة فاس بعث إليه ليراه فوصله وسلم عليه ، وبقي يحادثه إلى أن حان وقت صلاة الظهر ، فقال له قم فصل بنا ففعل ، فقال له الناصر من تركت في موضعك للصلاة بالناس ؟ فقال تركت به من هو خير مني ، وهو معلمي الذي قرأت عليه القرآن ، وذلك أنه لما وصلني رسولك تحيرت في أمر من يتقدم لذلك ، وقلت لا أعلم مني يكون الرجوع هل بالقرب أم بالبعد ، فسرت إلى معلمي وتذكرت قول الرسول عليه السلام : مولاك ثم مولاك من علمك آية من كتاب الله ، فأعلمته بالقضية واستخلفته في مكاني ، فقال له الناصر : جزاك الله خيراً ، ثم أمره بالانصراف وأتبعه مملوكاً بجملة من ثياب وصرّة فيها ألف دينار ، فرجع إلى الناصر وشكره ودعا له وقيل منه الثياب واستغفاه في أمر الدنانير فعفاه ، ولم يزل خطيباً وإماماً إلى أن توفي يوم الأحد الحادي عشر لرجب سنة إحدى عشرة وستمئة ، فخطب بعده الفقيه عبد الله القضاعي ، وهو معلمه المشار إليه باستخلافه هو له ، فانتقد عليه وطعن فيه ،

وقال الناس إنه يبعث صبيان مكتبة للنساء (124) ، وطولع بذلك من له النظر العام ، فقال إن الذي قدمه للصلاة أقر بين يدي الناصر أمير المؤمنين أنه خير منه ، فتركوه على حاله ، فترك عبد الله القضاعي المكتب وصار معتكفاً بالجامع ساكناً بالدار الموقفة على أئمة الجامع إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين لرمضان سنة خمس عشرة وستمئة . فخطب بعده الفقيه الصالح محمد بن عبد الرحمان الشلبي ، وكان من أهل العلم والدين والفضل ، وكان له صوت حسن ومعرفة بالأوقات ، توفي سنة تسع وعشرين وستمئة ، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الحاج محمد بن عبد الله المذبح بالخطيب ، وكان مجاب الدعوة ، توفي سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع عبد الغفار ستة أشهر وتأخر بنفسه ، وكان سبب تأخره أن أخذ الحساد أشاع عنه أنه يُنُون السلام ، فيقول السلام (بالتنوين) عليكم . وبلغه ذلك فاستدعا جماعة من وجوه المدينة وقال لهم : إنه بلغني أنه يقال إنني أنون السلام ، وبالله ما فعلت ذلك قط ، ولكن انظروا لأنفسكم من يكون عوضاً مني ، وبالله الذي لا اله الا هو لا تقدمت بأحد أبداً ، فخطب بعده الشيخ الورع علي المعروف بابن الحاج ، يحكى عنه أنه لما تأخر عبد الغفار رغب الناس من الشيخ الصالح عبد الله الفشتالي أن ينظر لهم خطيباً فوعدهم ليستخير الله تعالى فيمن يصلح لذلك ، وتام فرأى في منامه الرسول عليه السلام يشير عليه بعلي المنكور ، فلما كان في صباح اليوم جاءه الناس الذين وعدهم فقال لهم : عليكم بابن الحاج فامتنع ، ثم رغب

(124) كان من العادات المتبعة أن فقهاء المساجد (للكتاتيب القرآنية) يبعثون صبيانهم عند ما يتعمد الرضيع على الحامل فيطلقون رداءه بمسكون بأطرافه وينجولون به في طرق المدينة مرددين بصوت عال : (أنفيسة طال بها النفاس ، يارب واعطها الخلاص ، حرمة طه ويس ، والقرآن الحكيم) ، وأصحاب الدكاكين والمارة يلقون التبن والتمر والدراهم والبيض في الرداء ، ويزور الصبيان أشهر أضرحة الصالحين بالمدينة ويغطسون الرداء في سقاياتها وخسائها ، ولا يزالون يفعلون ذلك إلى أن تتكسر بيضة أو عدد من البيض الموجود في الرداء فيمتقنون حينئذ أن الحامل وضعت ، أو أن النفساء تخلصت من أوجاعها ، فحينئذ يعود الصبيان إلى المسجد (للكتاب) ويستحذ الفقيه على ما في الرداء من مال ومواد . وقد بطلت هذه العادة منذ نحو خمسين سنة .

المرّة بعد المرّة فأجاب وامتنع أن يسكن الدار المحبسة على أئمة الجامع ، وقال لا ينبغي أن تكون السكنى عوض الإمامة ، وتورّع عن ذلك ، فقيل له : إن لم تسكنها تُعطى حبساً عينه المحبس لذلك ، فقال : أمهلوني لأنظر لنفسي مخرجاً ، ثم أجاب لسكنائها على أن يكون يخيّط حضر الجامع ، ورأى أن ذلك عوض من السكنى فالله ينفع به . وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستمئة . فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح المشاور الورع محمد بن يوسف المزدغي (125) ثم قدم ولده الفقيه أبا القاسم للخطابة واقتصر هو على الإمامة ، فخطب ولده عوضاً منه ، وكان لما دُعِيَ للإمامة استرجع ثلاث مرات ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنه أخبرني الشيخ الحافظ المحدث أبو نذر الخسني وأنا أروي عليه الأحكام في الحديث النبوي يوم توفي الفقيه عبد الله بن موسى المعلم وولي القضاء عوضه ونظر إلي ملياً ، ثم قال لي : إنك تلي الإمامة للصلاة بالناس في جامع القرويين ، وذلك في آخر عمرك ، فلما دُعيت للإمامة تكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلي قرب فاسترجعت ، وأقام محمد المزدغي اماماً وولده أبو القاسم خطيباً إلى أن توفي محمد في تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمئة . فولي الإمامة بعده الشيخ الفقيه علي بن حمد ، ثم توفي أبو القاسم المزدغي فخطب بعده الفقيه محمد بن زيادة الله المزيني إلى أن توفي ، وباتّره توفي أيضاً علي بن حمد رحمهما الله تعالى ، فخطب بعدهما بتقديم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه عبد الرحمان ابن مسونة ، وقدم للإمامة الشيخ الفقيه القاري المتقن أحمد بن أبي زرع ، وأقاما في ذلك مدة من سبعين يوماً ، فخطب بعد ذلك الشيخ الفقيه محمد بن أبي الصبر أيوب بن يكتول الجاناتي

(125) محمد بن يوسف بن عمران المزدغي الفقيه الخطيب ، خطب وعلم وأفتى ، كان عالماً بأصول الفقه والدين واللغة ، متصرفاً في جميع العلوم العقلية والنقلية ، دخل الاندلس وروى عن مشيخة أشبيلية وقرطبة ، له مؤلفات أتم بعضها واخترمته المنية قبل اتمام البعض الآخر ، توفي بغاس ليلة الأحد 14 ربيع الأول عام 655 وهو ابن اثنين وثلاثين سنة أو في 19 ربيع الثاني على ما عند الجزائلي ، ودفن بروضة ملّغه من باب فتوح

اليفسي من بني سدر وأضيف له الإمامة ، كل ذلك بأمر مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب سنة تسع وثمانين وستمئة ، إلى أن توفي في تاسع ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وستمئة ، فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح يحيى بن عبد الرحمان بن محمد بن يوسف بن عمران بن الفتوح المزدغي في يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمئة ، وتقدم للإمامة الفقيه المحدث الأصولي أحمد بن راشد العمراني عن أمر مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب رحمه الله في موقي عشرين من جمادى المنكورة ، وأقام إماماً ثلاثة أعوام ، ثم صرف عنها وأضيفت الإمامة إلى يحيى المذكور إلى أن توفي في خامس وعشرين شوال سنة ست وعشرين وسبعمئة . فخطب بعده ولده الفقيه المحدث أبو الفضل محمد ، وكان حسن السميت قليل الضحك ، مولعاً بقضاء حاجات الناس من عرف ومن لم يعرف ، تارة بنفسه ، وتارة بماله ، وتارة برساليته ، مؤثراً جواداً حتى أنه لا يرد من قصده شاعراً كان أو غيره ، بل يبادر بقضاء حاجات من قصده ، وربما عذله بعض الناس في ذلك فكان ينشدهم :

لا تقبلن الشعر ثم تُضيغه	فتنأ ، والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم إذا لم يُنصفوا	حكموا لأنفسهم على الحُكام
وجناية الجاني عليهم تنقضي	وعقابهم يبقى على الأيام

وكان الناس يتوسلون به عند الخلفاء والأمراء وغيرهم في حاجاتهم لمنزلته الكريمة عندهم ، وكان أكثر تسيبته في الحراثة والزراعة والغراسة ، وكسب أملاكاً كثيرة ، وكان كثير الإنفاق لنفسه وحاشيته ، ولا سيما في الولائم والمواسم إلى أن ارتكبه ديون كثيرة ، وغفل عن ضبط ماله ، والتفقد لأحواله ، واستغسل بالمسامحة لوكلائه ، فتعين عليه مالٌ جسيم مبلغه واحد وثلاثون ألف دينار وثلاثمئة دينار كلها من الذهب العين ، من جملتها ودائع كانت بيده ، ولم يبلغ ما ألفي بيده وخوزه من الأموال والرباع وغير ذلك عند طلب الناس أموالهم إليه وقيامهم عليه حاشاً عشرة آلاف دينار وخمسمئة دينار من الفضة اقتسمه الغرماء حسب ديونهم ، ولم يسع عدل

مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله عند تحققه لذلك إلا صرفه عن الخطبة والإمامة ، ورأى أن ذلك مما يقدح فيه ، وأنفذ أمره بصرفه ، فرفع له هذه الأبيات من نظمه رحمه الله :

أمولاي يا خير الملوك ومن له مزايا على كل الملوك الأكابر
أما أن أن تحنو وترحم شاختي وحبك ثار في الحشا والضماير
وحب أبي قبلي إليك مجدد لدى كل بار في الأتام وحاضر
فكيف يضيع الحب يا نور ناظري وأنت إمام نور العلا والمآثر
وكيف يكون المزدغي حبيبيكم مضاماً مهاناً في القرى والحواضر
وقد قال أهل العلم طراً بفاسنا بأن الذي قد كان ليس بضائر
وغاية ما قد عدوها صغائرا ولا قدح فيمن قد أتى بالصغائر
أبعد عنكم دون فعل كبيرة وأمنع قهراً من صعود المنابر
ولو كنت يا مولاي أعلم أن من رقى منبراً مثلي يكون مناظري
لما طمحت نفسي لشيء من العلا وأزمنتها هون الصفوف الأواخر

ولما وقف عليها صمم على صرفه ، وكتب الأمر بذلك لمدينة فاس من منصور تلمسان (126) في الثالث عشر لشعبان سنة ست وأربعين وسبعمئة ، ووقف مولانا أمير المسلمين أبو الحسن رحمه الله على قصيدة أيضاً من نظمه كان أراد رفعها لمقامه العلي حين غلبه الدين ليستجديه ويعينه في دينه فخجل من ذلك وأجرى له جراية من مجبى فاس مبلغها مئة دينار وخمسون ديناراً فضة في كل شهر إلى أن توفي في عقب شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمئة .

(126) المنصورة : وتعرف أيضاً بمنصورة قط ، مدينة ملكية بظاهر تلمسان شرع في بنائها السلطان يوسف بن عبد الحق المريني سنة 702 أثناء حصاره الطويل لتلمسان الذي استمر مئة شهر ، كانت من أبهى الحواضر الملكية وأجملها في العصر المريني ، لما كانت تشمل عليه من القصور والجنان والمساجد والمدارس والحمامات والدور الأنيقة والمغاني الرفيعة وبها كان يستقر ملوك بني مرين ورجال مخزنهم عند مجيئهم إلى تلمسان من المماليك أو محاربين ، وقد هدم هذه المدينة الملكية ملوك تلمسان العبد الراكبون للزياتيون تشيهاً وانتقاماً ، فقدت الحضارة المغربية بخرابها درة من عتدها وجوهرة من تاجها ، فلن منصور تلمسان حسبما يدل عليه وصف المؤرخين لها كانت من أفخم بناءات ملوك بني مرين وأحسن منجزاتهم العمرانية . وهي اليوم قرية متواضعة تحيط بها الجماتين الغنية والمزارع الخصبة لواجهة صومعة مسجدتها وأبراج أسوارها أنظار للذهبيين من تلمسان إلى المغرب أو للواردين منه عليها بطريق الميقات أو القطار .

فمن القصيد :

ما لي سوى المقتدى بالكتب والربيل بعد الإله أمير المسلمين علي
ما لي سواء لما أرجوه من منن ما لي سواء لنيل السؤل والأمل
نجل الخليفة عثمان الذي وضحت منه المعالي وضوحاً غير محتمل
أعني أبا حسن قطب الملوك ومن أحيى الخلافة في علم وفي عمل
غوث الملوك إذا خطب ألم بهم غيث العفاة ، أمان الخائف الوجل
بحر السباحة فياض لوارده عذب ويرويك في نهل وفي علل
يُنسيك يوم هياج الحرب عنترهم عند الطعان وما عمرو بمحتفل
ماضي العزيمة فرد في شجاعته يوفي علي كل ذي وصف وذو مثل

ونقل مثل هذا إنما هو ليكثر الانسان من الشكر على ما في القناعة
وحفظ المال من الخير والمصلحة ، وليتذكر العاقل وينتبه الغافل .

فخطب من بعده الشيخ الصالح الورع الخاشع التالي لكتاب الله
تعالى عبد الله بن محمد الجنيارى المحمدى ، وكان رحمه الله كثير الصوم
وصدقة السر ، وقدمه لذلك مولانا أمير المسلمين أبو الحسن رحمه الله الى
أن توفي في يوم الخميس سادس وعشرين لشهر جمادى الأولى سنة خمس
وسبعمئة . فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح العالم الخاشع الورع الزاهد
يوسف بن عمر الأنفاسي (127) بتقديم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله
بعد الاستخارة في ذلك والنظر الأصلح للمسلمين ، وقيل التقديم بعد أن أبدى
لنفسه أعذاراً لم يسمح له فيها للمصلحة التي غلبت على أعذاره ، وفرح
الناس بتقديمه له ، وشكروه لاهتباله بالأمور الدينية ، وبعث له في أول خطبة
خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس وبدن كلاهما أبيض من صوف ،
واحرام للتردية ، ومنديل للتعميم ، ودراعتين من ثوب الرصان وقبطية

(127) يوسف بن عمر الأنفاسي السلامي الولي الصالح ، الفقيه الخطيب ، له تقييد على رسالة
ابن أبي زيد القيرواني من أفيد التقييد ، توفي يوم الأحد 13 شعبان عام 761 وقد نيف على المئة سنة ،
ودفن خارج باب الجيسة بين الحارثين .

شواشية العمل ، قال الرسول الذي حملها له إن قيمتها أزيد من مئة دينار من الذهب ، ولما وصله خجل من ذلك وقال : ان هذه الكسوة لا تصلح لمثلي ، وفيما علي من اللباس كفاية ، وفهم منه طلب المعافاة في قبولها ، فقال له الرسول أنت من أهل العلم ، وعندك وجوه لأخذها ، وانما قصد مرسلها ومهديها التنوية لأهل العلم مثلك ، وليمتار أهل الخطط من غيرهم ، وليعلم الناس بتقديمه لك ، ولما في الهدية من التودد ، فقبلها وشكر عليها ودعا له بصالح الأحوال وبلوغ الآمال ، ثم ليس بعضها في خطبته الأولى ، ثم وهبها لمن يستحقها ، وهو السيد الشريف محمد بن عمران المتقدم ذكره واقتصر على عادته في لباسه ، ولم يزل عنده محمولاً على البر والاكرام ، والرعي المستدام ، مقضي الحاجات على الدوام . واختطب نائباً عنه لأعدار أهداها الشيخ الفقيه القاضي الراوية المحدث ، محمد بن الحاج علي بن عبد الرزاق الجزولي ، وما زال أبو الحجاج يوسف يعتذر عن القيام بها الى أن استبد بالقيام بذلك الفقيه محمد بن علي المذكور ، وأقام خطيباً الى أن اعتل وظهر عجزه عن الخطبة ، فخطب بعد عجزه الفقيه العدل الصالح عبد الله ابن الخطيب الصالح الورع الخير عبد الواحد ابن الخطيب الأشهر محمد بن أبي الصبر بتعيين مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله لذلك في يوم عجز من ذكر ، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وسبعمئة ، وتوفي الفقيه محمد بن علي ابن عبد الرزاق المذكور في يوم الأحد الرابع لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمئة وبقي الشيخ الصالح يوسف إماماً الى أن مرض وعجز عن القيام بالامامة ، فتقدم ولده الشاب الصالح الولي سليمان نائباً عنه في ذلك بعد اباية منه ، ثم أجاب في يوم الأربعاء الثاني عشر لرمضان سنة ستين وسبعمئة ، واستمر على الاستنابة الى أن توفي والده المذكور في يوم الأحد الثالث عشر لشعبان سنة احدى وستين وسبعمئة ، واستقل ولده سليمان بالامامة وظهر منه خير واستقامة ، لم تأخر من تلقاء نفسه نفع الله به لأمر ظهر له في ذلك ، واجتمع

واجتمع للخطيب المبارك الصالح عبد الله بن أبي الصبر المذكور الخطبة والامامة ، وذلك في أواخر عام سنة وستين وستمئة (128) .

ومن الزيادات في الجامع المذكور الباب الأكبر الغربي الذي بسماط الموثقين (129) بُني من مال الأحباس في أيام الفقيه القاضي محمد بن عيسى السبتي سنة خمس وخمسمئة ، كذا قاله صاحب (المقياس) ، ثم صنع بخارجه قبة الجبص المقریسة التي عليه الآن الغربية الصناعة سنة سبع عشرة وستمئة علي يد الخطيب عبد الله بن موسى المعلم قاله صاحب (الأنيس) ، والباب الأكبر أيضاً المعروف الآن بباب الشماعين بُني من مال الأحباس في أيام القاضي محمد بن داود سنة ثمانى عشرة وخمسمئة . كذا كتب في قبة الجبص التي بداخله ، وصنع مرتفعاً واسعاً على صفة الباب القريب منه المذكور ، وركب عليه مصراعان عظيمان قد حسنت قاعدتاه على ما هو الآن . وحين حُفر أساس هذا الباب وجد عن يسار الداخل فيه حيث هي الدكانة الآن بناء مقبور اتهم أنه كنز ، فهدم بعض الأقباء ، فوجد تحته صهريج طوله ثمانية أشبار وعرضه كذلك ، وفيه ماء معين ، وبالصهريج سلحفاة قد ملأته ، فاختلفوا في إخراجها ، ثم رأوا أن يستشار

(128) هذا آخر تاريخ يرد في هذا الكتاب ، وبه تنتهي قائمة خطباء جامع القرويين الذين أوردتهم المؤلف ، ونرى من المفيد أن نصل هذه القائمة بقائمة الخطباء الذين تداولوا الخطابة فوق منبر جامع القرويين إلى بداية القرن الحادي عشر الهجري :

استمر محمد بن أبي الصبر أبوب خطيباً إلى أن توفي ، فخطب بعده الولي الصالح سيدي محمد ابن عباد النفري الحميري إلى أن توفي سنة 792 فخطب بعده محمد بن ابراهيم المشنزلاني إلى أن توفي سنة 846 فخطب بعده عبد الله العبدوسي إلى أن توفي سنة 848 فخطب بعده أحمد بن سعيد المكناسي إلى أن توفي سنة 870 فخطب بعده عبد العزيز الورياغلي إلى أن توفي سنة 880 فخطب بعده عبد العزيز البوفرحي إلى أن توفي سنة 890 فخطب بعده يوسف الفندلاوي إلى أن توفي سنة 914 فخطب بعده الفقيه الشهير محمد ابن غازي الثماني المكناسي إلى أن توفي سنة 919 فخطب بعده أحمد الدقون الصنهاجي إلى أن توفي سنة 921 فخطب بعده محمد غازي ابن الفقيه ابن غازي المتقدم إلى أن توفي سنة 943 فخطب بعده علي بن موسى بن هارون المطغري إلى أن توفي سنة 951 فخطب بعده عبد الرحمان بن ابراهيم المشنزلاني الدكالي إلى أن توفي سنة 962 فخطب بعده ابنه أبو شامة إلى أن توفي سنة 964 فخطب بعده محمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني إلى أن توفي سنة 981 فخطب بعده ابنه محمد الكبير نحو المئة أشهر ، ثم نقل إلى جامع الأنطلس وأسندت الخطبة بجامع القرويين إلى الفقيه يحيى بن محمد السراج النفري الحميري .

(129) يعرف الباب اليوم بباب العدول وهم الموثقون ، وقد استمر العدول بذلك السماط إلى أن نقلوا منه منذ نحو الخمسة عشر عاماً .

في ذلك فقهاء المدينة فأشاروا بتركها في موضعها وأن يعاد الأقباء كما كان .
وهذه الفتوى لا تصح والله أعلم . لأن السلحفاة إن كان فيها الحياة فلا يجوز
البناء عليها ، وإن كانت ميتة فلا يجوز أيضاً بناء المسجد على الميتة . اللهم
الا أن يكون ذلك الماء غذاء لها . وليس في البناء عليها تعذيب لها فلا يمنع
البناء عليها ، وأيضاً فقد يكون من تقدم ربما جرب غير مرة وقوع الضرر
بمن يريد إخراجها من موضعها ، أما لكونها جناً عامراً أو غير ذلك
والله أعلم ! .

ولما تم بناء هذا الباب عمل بأعلاه قبتان أحدهما من جبص بداخله
والثانية من خشب الأرز بخارجه ، ثم قدر أن اضطرمت نار بجهة باب
السلسلة وأحرقت ما مرت به من الأسواق إلى أن وصلت قبة الخشب
المذكورة فاحترقت وذلك في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وخمسة
ثم جدد خارج الباب والقبة التي احترقت ، وصنعت القبة من الجبص على
نحو ما هي الآن على يد أحد عمال الموحدين في شعبان سنة ستمئة ، كذا
كتب فيها ، وكان الإنفاق في ذلك من بيت المال .

وفي أيام القاضي محمد بن داود زيد في الصحن بناء بلاطين من
الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية كذلك ، وفرش الصحن في أيامه حسبما
ذكره صاحب (المقباس) ، ومن (الأنيس) أن الصحن كانت فيه معدات
(130) من صخر يحتبس فيها الماء ، فتطوع العريف المتقن ، محمد بن
صخر بفرشه من ماله ، وكان له أربع من الدور موروثة عن أبيه فباعها
وأنفقها فيما يحتاج إليه من أجر وجير وغير ذلك ، وتولى فرشه بيده ، ولم
يأخذ في ذلك كله من أحد شيئاً ، وقال : إنما ابتغيت بذلك وجه الله تعالى ،
وهو الفرش الذي به الآن ، وفي طوله من شرق إلى غرب مئتا صف وثلاثة
وأربعون صفاً في كل صف مئتا آجرة وثمان عشرة آجرة ، فيصح في
تكسيره اثنان وخمسون ألف آجرة وتسعمئة وأربع وسبعون آجرة ، وفي

(130) جمع معدة ، والأصل معدى : صهرج صغير يجري إليه الماء من ساقية كبيرة ، ثم
يجري منه في (مشارب) إلى النور والحمامات والمقايات بأقذار معلومة .

طوله أيضاً من الأشبار مئة واثنان وثمانون شبراً ، وفي عرضه خمسة وسبعون شبراً.

ومما زاده القاضي عبد الله بن داود المذكور أن جعل له مظال من شقق الكتان تنتشر عليه كل يوم جمعة في زمن القيظ تحجب بها الشمس عن المصلين العاجزين عن الرواح البعداء المنازل الذين لا يجدون محيصاً عنه لتضايق الجامع ، وذلك بأن جعل في أطناها سلبات (131) تجرى في بكر موثقة بالرفوف الدائرة على جوانب الصحن ترتفع بها المظال مدة الحاجة إليها ، ثم تحط وتزال وتخزن الى وقت الحاجة اليها أيضاً ، وجعل في مواضع منها فرجاً يتنفس منها الهواء ، وبقيت كذلك أعواماً الى أن تمزقت وأهمل النظر فيها وبقيت بكرها ظاهرة إلى الآن ، كذا نقله صاحب (الأتيس) .

ومما أنشد في معنى ذلك يشير به إلى القاضي المذكور :

تبهجت الدنيا بعدلك في الورى وفسحت لما ضاق بالخلق - جامعا
شكا صحته شمس الظهيرة صاحياً فأظللته ظلا عن الوهج دافعا

ولما كثرت العمارات بالمدينة في أيام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وضاق الجامع بكثرة المصلين الى أن كانوا يصلون في الشوارع والأسواق ، اجتمع فقهاء المدينة وأشياخها ورفعوا ذلك للقاضي عبد الحق بن عبد الله ابن معيشة الغرناطي سنة تسع وعشرين وخمسمئة ، ونكروا له كيف تتضح الزيادة فيه ، وبينوا له وجوهاً في الاعانة على بنائه ، وأعلموه أن كثيراً من أوقاف المساجد عند كثير من أهل فاس قد أدخلوها في منافعهم وحسبوها من أموالهم ، وأنها تقوم بالنفقة في الزيادة ، فشاور في ذلك الأمير علي بن يوسف ، وأعلمه أن ذلك من رفع علم الدين والتوسعة للمصلين ، لاسيما في الجمعة التي هي من أعياد المسلمين ، فأذن له وتوجه الطالب على النظار والوكلاء في ذلك ومحاسبتهم ، فيذكر أن الذي أبرزته

. (131) حبال مدرجة ، وكان اللصوص يستعملونها للنزول من السطوح لوسط الدور قصد البقرة في الليل ، ولا تزال الكلمة مستعملة بهذا المعنى الى اليوم بفاس .

المحاسبة في ذلك ثمانون ألف دينار فضة ، ثم شرع في شراء الأملاك التي كانت بقبلي الجامع ، فاشتراها بأحسن شراء ، وقيل أن أكثرها كان لليهود لعنهم الله ، وحين كمل له شراء ما أراد أخذ في هدمه وبيع ما لا يحتاج من نقضه ، فاجتمع في ثمن ذلك أزيد من الثمن المشتراة به ، ثم أخذ في البناء في هذه الزيادة ، فكملت به عشر بلاطات من صحنه الى قبلته ، وأخذ في عمل القبة التي بأعلا المحراب وما يحاذيها من وسط البلاطين المتصلين بها ، فعمل ذلك بالجيص المقربس الفاخر الصنعة ، ونقش على المحراب ودائر القبة التي عليه ، ورقش ذلك كله بورقة الذهب واللازورد وأصناف الأصبغة ، وركب في الشمسيات التي بجوانب القبة أشكال متقنة من أنواع الزجاج وألوانه ، وتم ذلك على أحسن ما أريد ، ثم أخذ في تغشية بعض أبواب الجامع بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم والشكل المتقن ، وأمر بعمل المنبر الذي به الآن على نحو ما تكرر قبل من أجل الذي كان به قد درس وقد تكررناه . ثم بدأ العمل في بناء مقدم القبة حيث يدخل الى مصلى الجنائز ، فعزل القاضي ولم يتم ما أراده ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة . وتقدم غيره ولم يشرع في شيء من ذلك ، وبقي على حاله الى أن ولي قضاء المدينة الشيخ الفقيه عبد الملك ابن بيضاء القيسي في سنة سبع وثلاثين وخمسمئة ، فتم ذلك في أيامه على نحو ما بدأه ابن معيشة . واقتصر على ما غشي في أيامه من الأبواب ، وكان الفراغ من هذه الزيادات في شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة . ويذكر أن النقش والتذهيب الذي كان بأعلا المحراب ودائر القبة التي عليه غطي بالكاغذ وعمل عليه الجيص حين عزم الخليفة عبد المومن بن علي على الدخول لفاس والصلاة في الجامع المذكور ، فان ذلك كان مشغلا للمصلين وبقي كذلك حتى الآن .

ويذكر أيضاً ان التراب والكذان الذي بني به هذه الزيادة كان يخرج من كهف عميق تحت بعض هذه البلاطات الثلاثة ، ولكهف الآن باب مطبق بالقطعة التي بين المحراب وباب المدرج المحدث هناك ، وأن الماء الذي صرف في ذلك كان يستقى من البئر التي بضحيه ، كل ذلك تحرياً من الشبهات ، كذا نقل صاحب الأتيس .

وأما الثريا الكبرى فإنه كانت بموضعها قبل عمل هذه - ثريا مثلها في الجرم، فثرت وتكسرت وصنعت هذه في أيام الفقيه الخطيب عبد الله بن محمد بن المعلم رحمه الله ، وكان الاتفاق فيها مبلغ مئة دينار وسبعة عشر ديناراً وخمس دينار من الدنانير الفضية ، كل ذلك من مال أحباس الجامع ، وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن ، وفي زنتها سبعة عشر قنطاراً وربعا قنطار ، وربعا ربع قنطار ، وفي دورها اثنان وثلاثون شبراً ، وعدد مراكز قناديلها خمسمئة وعشرون مركزاً ، والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت خمس قُل ، وكانت تارة تسرج كلها في ليالي رمضان ، وتارة لا تسرج ، إلى أن ولي الشيخ الفقيه محمد بن أبي الصبر قضاء المدينة فرأى أنه إن أسرجت كل ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفاً في مال الجامع ، وإن لم تسرج قد يكون ذلك تعطيلاً لما أريد بها . فاقضى نظره أن استشار في ذلك أمير المسلمين مولانا أبا يعقوب وأنهى إليه أمرها ، فأمره أن يأخذ في ذلك بالأوسط من الأمور ، وأن تسرج كلها في كل ليلة من ليالي السابغ والعشرين من رمضان ، ويسرج بعضها في سائر ليالي العام ، فدام العمل على ذلك إلى الآن .

وقد لواها نسيم وهي تنقد
من التخشع جوف الليل ترتعد

تحكي الثريا الثريا في تألقها
كأنها لخوي الايمان أفئدة

ومما قيل في السرج :

من الزجاج حواها وهي تلهب
عند الهجير فما تنفك تضطرب

انظر إلى سرج في الليل مشرقة
كأنها أسن الحيات بارزة

وقال المزياتي في الثريا :

يصدع بالألاء سجع الغسق

انظر إلى ثرية نورها

وقال ابن عبدون :

انتظم النور بها فانسق

كأنها في شكلها ربوة

وقال محمد بن خلف :

باهى بها الاسلام ما أشرقت كاساتها عند مغيب الشفق

وقال ابن المرحل (132) :

أعيذها من سوء ما يتقى وفجأة العين برّب الفلق

وأما المستودع الذي به الآن فإنه عمل في أيام الفقيه الصالح أبي محمد يسكر ليوضع فيه مال الأحباس وأوقافه ، وكان الناظر في بنيانه الفقيه أبو القاسم بن حمد وبناءه بأن حفر قاعته الى أن وصل الأرض الصحيحة ثم بלט ذلك بالرمل والجير ، وجعل أسفله طاقة من أحجار كبار مبسوطة وطاقة من الرمل والجير ، وحصن داخله وسقفه بخشب الأرز ، وعمل له خمسة منافس بصفائح من حديد مقلوبة ، وبابان أحدهما محدد ، كل ذلك على الوجه المحكم والعمل الوثيق ، وجعل على كل باب منهما ثلاثة مفاتيح ، وجعل في داخله صناديق كباراً عليها أقفال وثيقة ، ثم وضع فيه أوقاف الجامع وأمانات الناس ، فاحتيل عليه في أيام الفقيه القاضي محمد بن عمران وسرق منه مال كثير ، واجتهد في البحث على ذلك فعمي خبره .

وأما البيلة (133) والخسة ودار الوضوء واحداث البناء في توسيع باب الحفاة وتجديده وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية من الجامع المذكور فإن ذلك كان في أيام الفقيه الصالح أبي محمد يسكر . يحكى أنه قدم إليه رجل من جبال بني يازغة يعرف

(132) مالك بن عبد الرحمان ابن المرحل المخزومي المصمودي المبني ، أصل سلفه من الأندلس وبها ولد بمالقة سنة 604 وانتقل صغيراً الى سبتة فسكنها طويلاً ، ثم انتقل الى فاس ثم عاد الى سبتة مرة أخرى ، ثم عاد الى فاس وبها توفي في 17 رجب عام 699 ودفن خارج باب الجيسة عن يمين الخارج من المدينة في الروضة الثانية المركنة . كان شاعراً مطبوعاً سريع البديهة قوي العارضة ، رشيق الألفاظ ، ذاكرة للآداب واللغة ، وكان شاعر المغرب بلا منازع في وقته .

(133) صهريج من رخام مستطيل ملاصق للأرض والكلمة اسبانية .

بموسى بن عبد الله بن سدان (134) ، وكان له مال كثير واستوطن قاصاً ، ولزم صحبة الشيخ أبي محمد يسكر ، وتكر له أن بيده مالا طيباً ورثه من أبيه ، وأن أباه اكتسبه من حرائثه بيده في أرضه ومن ماشية توالت عنده ، ويريد أن يصرفه فيما يحتاج إليه جامع القرويين ، فتوقف الشيخ أبو محمد إلى أن ينظر في ذلك ، وصار الرجل يلح عليه في أن يعمل دار وضوء بقرب الجامع المذكور لتكون عوناً للمصلين ، فلما رأى عزمه وتوسم فيه الخير حملته إلى الجامع وأوقفه بين المنبر والمحراب ، واستحلفه أن ذلك المال طيب ، فحلف له ، ثم قال له : اشرع الآن فيما أردت والله ينفعك بقصدك ، فعمد إلى فتق كان في موضع دار الضوء الآن واشتراه وشرع في نقضه ، ثم بحث عن موضع يجلب منه الماء لذلك ، فأعلم بمواضع شتى استشار فيها أهل المعرفة والنظر ، فلم يروا له أصلح من عين بدويرة بجرنيز (135) وتعرف العين بعين جرمال ، ومنها إلى الجامع خمسمئة نراع ، فاشترى ذلك بأضعاف القيمة حرصاً على مراده ، ثم رغب من الشيخ أبي محمد أن يعلم بتلك الناصر الموحدى ويستأنفه أن يجلب هذا الماء حيث يباح له من الشوارع ، فأجابه إلى ذلك وأعلم به الناصر فأسغفه بمطلبه ، ثم شرع في بناء دار الضوء ، وجعل لها خمسة عشر بيتاً ، ولكل بيت مصراعان ، فوق سقف كل بيت طاق لدخول الضوء وأخرى فوق بابه ، وعلق فوق كل طاق من طيقان أبوابها صبحية من الزجاج تخرج في أول الليل وآخره ، وفي كل بيت أنبوب من نحاس ينصب منه الماء في نقيز محفور في حجر طوله شبران وعرضه شبر وعمقه نصف شبر ، وفي سمكها قبة جبص مقربة العمل مرقشة بأنواع من الأصبغة ، وعلق في وسطها ثرياً ولها قوارير من زجاج تخرج في أول الليل وآخره أيضاً ، وأدار من الجهة القبلىة والشرقية والجوفية أحد عشر طاقاً لدخول الضوء لجميعها ، وجعل بوسطها بيلة من الحجر الأحمر طولها عشرون شبراً وعرضها خمسا أشبار ، وفي وسطها نراع مجوف ، وركبت عليه شبه خرشفة فيها عشرون ثقباً كلها من نحاس مموه بالذهب ينصب منها الماء للبيلة ، وأدار بها مقعداً

(134) في نسخة دار الكتب المصرية : سرات .

(135) ما زال هذا الحي معروفًا باسمه إلى الآن بعدوة القرويين .

وجعل على ذلك مما يقابل الواقف شباكاً من الرخام من مئة وأربعة وعشرين خاتماً مسدسة الاحكاء ، وكتب تحته في حجر منقوش بخط بارع : باسم الله الرحمان الرحيم . اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ، كمل في شهر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمئة . وجعل تحت ذلك في ألواح الرخام خمسة أنابيب ينصب منها الماء في البيلة المذكورة ، ثم ينحدر منها بعد امتلائها في عشرين ثقباً معدة لذلك في الجهة الشرقية منها ، وينصرف منها للخسة القريبة منها من جهة غربها قد عملت من طاقنتين في دورها ثلاثة عشر شبراً قامت على ساق مقسوم على نصفين ، كل ذلك من النحاس الأصفر ، فيصعد الماء المنحدر من البيلة في النصف الواحد من الساق ، ثم يفور في وسطها من ثمانية أثقاب بجوانب خرشفة من نحاس مموهة بالذهب ، ثم يفور منها الماء بعد امتلائها في أثقاب معدة لذلك في جوانبها ويجتمع في النصف الثاني من الساق ، فلا تزال البيلة والخسة مملوءتين قد سبل ما ينثال منهما لمأرب المصلين والعاكفين والواردين والصادرين في وضوئهم وشربهم متى احتاجوا اليه في ليلهم ونهارهم ، وهذه فضلة تتكرر على الدوام لهذا الجامع ولمن سعى في ذلك وأعان عليه من خلفاء الاسلام ، ثم يمر ما ينحدر من ماء الخسة في قادوس الى الميضاة التي بعين قرقف بالجهة القبلية من الجامع المذكور .

وأما العنزة التي بها الآن فانها صنعت حين كان الفقيه محمد بن أبي الصبر ناظراً في أحباس جامع القرويين ، ومن فوائدها أنفق فيها ، وذلك سنة ست وثمانين وستمئة ، وفيها من غرابة الصنعة ونفاسة الصبغة وإتقان الألصاق ودقة الخرط والنقش وجلالة الاحكاء ما يقضي بالعجب ويصرح بالاعجاز . ومما أصلح فيه الحائط الشرقي مع سقف البلاطين المتصلين به ، وذلك في ايلة مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، وأنفق فيه من مال

الجزية والأعشار ، وأصلح فيه أيضاً الحائط الجوفي من حد الساباط الفاصل بينه وبين الدار الموقفة لسكنى أيمته إلى حد باب الصفر الذي هناك ، وذلك في إيلة مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب رحمه الله ، وأنفق فيه خلخال ذهب صار له من مال غنائم الروم ، وكان إصلاحه على يد قاضيه بالمدينة الفقيه أبي غالب بن القاضي أبي عبد الرحمان المغيلي ، وذلك سنة ست وتسعين وستمئة .

ومما أحدث فيه الباب المدرج الذي بقبليه ، وذلك أن الوالي إذ ذاك بالمدينة علي بن محمد بن عبد الكريم الحدودي تأمل الباب المدرج الذي بُني في أيام الناصر الموحد بجوفي جامع عدوة الأندلسيين من المدينة ، ورأى أن يفخم أمر جامع القرويين ويصنع له هذا الباب ليكون مماثلاً للباب المذكور ، فبناه على هيأته الآن ، وصنع أسفله تقيراً من خشب مصفح بالرصاص ، وجلب له الماء من عيون ابن الصنادي المعروفة بعيون الكزارين ليدخل عليه الحفأة وغيرهم ، وعمل عليه شباكاً من خشب الأرز يباب يدخل اليه من أراد الصعود إلى أدراج ، وصنع بأعلا الأدراج باباً عظيماً يدخل منه لقبلة الجامع ، وصنع عن يمين الخارج من أسفل الأدراج سقاية ونمقها بالجبص والزليج والخجر المنجور وأنواع الأصبغة ، كل تلك بصناعات محكمة ظريفة العمل ، وجلب إليها الماء من الموضع المذكور ، ويذكر أنه أنفق في ذلك من مستغلاته في سنة اثنتين وتسعين وستمئة . وأراد أن يعلم بذلك مولانا أمير المسلمين أبا يعقوب رحمه الله وليجعل ذلك خدمة له ، ثم إن من حسده بادر بالسعاية اليه فيه ، ورفع لأمر المسلمين أنه أحدث بالجامع ما لا يحتاج إليه بغير إذن ، فأمر أمير المسلمين بغلقه إلى أن ينظر في أمره ، فغلق عن ذلك ، ولم يزل الباب مغلقاً إلى الآن .

ومما أحدث فيه الأمير المرحوم عمر بن أمير المسلمين أبي سعيد رحمه الله أن جعل في الجهة الغربية من الجامع تسعة من الطيقان لزيادة الضوء في تلك الجهة ، وأمر أن يجعل على المحراب مقصورة وشرع الصنائع في عملها وأنشئت من ثلاثة أجناب من خشب الأرز بصناعة

التقشير ، ارتفاع كل جنب منها تسعة أشبار ، وطول الأوسط منها ثلاثون شبراً وهو الذي صنع فيه الباب ، وطول كل واحد من الآخرين خمسة وعشرون شبراً ، ثم ان الناس ظهر لهم أن في ذلك مضرّة بانقطاع الصفوف وحيلولتهم عن الامام وغير ذلك من الوجوه ، ورفعوا الأمر في ذلك لفقهاءهم ، فلقوه وبينوا له ما ظهر للناس من الضرر ، وقالوا له مع ذلك أموراً مصلحية فرجع عن عمله في سنة اثنتي عشرة وسبعمئة ، وكان الاتفاق فيه من مال الأعباس على يد الناظر فيها محمد ابن حنون ، وكان مولانا أبو الحسن رحمه الله أراد أن يجعل بهذه الأجناب المذكورة مقصورة بجامع القصبة من فاس لصغر التي به وقديمها ، فأئسي ذلك والله أعلم .

وأما الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين فهو الذي أُلقي بجبل الفتح من برّ الأنطلس حين استفتحته المسلمون على يد الأمير الأسعد الشهيد عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله تعالى ، وزنته فيما ذكر عن الذين جلبوه عشرة قناطير ، ولما وصل لفاس أمر أمير المسلمين أبو الحسن أن يعلق هناك بعد أن يعمل في جوانبه أجنّاح قائمة منفردة ليبقى جرمه ظاهراً ، ويعمل عليها مراكز لقوارير الزجاج التي تسرج فيه ، وبأسفله أوصال مبلّغها اثنا عشر ، وتحت كل وصل منها غلون مكفف ، وفي وسط ذلك طبق شبه الخاتم ناتئ عن الأوصال ، وفي أسفل حرف الطبق بيادق مخروطية ونطاق مقوّ في وجه الأوصال ، كل ذلك من النحاس الأصفر المنقوش المخرم بالصناعة المحكمة . وكتب على النطاق : الحمد لله وحده . أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك مولانا أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبو الحسن ، بن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سعيد ، بن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيّد الله سلطانهم ، وأسعد عصرهم وزمائنهم ، وهو الناقوس الملقى بجبل الفتح حرسه الله ، افتّحه بعون الله وتأييده مولانا أمير المسلمين أبو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك ، ومولانا أيده الله ونصره محاصر مدينة

سجل ماسنة ، وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الأحد الخامس لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة . والله يرشده . هكذا أملاه من موضعه وقاد الجامع المذكور . وفي أثناء عمل الناقوس كما ذكر عمل له هناك قبة من الجبص متقنة العمل علق بها في منتصف شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمئة ، وكان الانفاق في ذلك كله سبعون ديناراً من الذهب من مال الأحباس على يد الناظر فيها أحمد بن محمد ابن الأشقر الصنهاجي .

وأما خزانة الكتب التي يدخل اليها من أعلا المستودع الذي بالجامع فإنه لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله حب العلم وإيثاره ، والتهم به والرغبة في انتشاره والاعتناء بأهله ومتحليه ، والتودد لقرائه ومتحليه انتدب لأن صنع هذه الخزانة وأوسع طلبه العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان ، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتى ضروريها وأجناسها ، ووقفها ابتغاء الزلفى ، ورجاء ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيمياً لضبطها ، ومناولة ما فيها ، وأجرى له على ذلك جناية ، وأفاده مكرمة وعناية ، وذلك في جمادى الأولى سنة خمسين وسبعمئة .

وأما خزانة المصاحف التي جعلها مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله في قبلة صدر هذا الجامع فإنه صنعها لما سهل على الناس من تلاوة القرآن في الوقت المتخير من الأزمان ، بأن أعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة السنية ، وأباحها لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام ، وعين لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها ، وردها لصيانتها في موضعها وإحرازها ، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس اليها ، فلا يبدل ذلك ولا يغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأجرى له هراية ، وأوسع كرامة ورعاية ، وتم عملها في شهر شوال سنة خمسين وسبعمئة .

وأما زاوية القراء ، البهية الغراء ، التي أمر بها مولانا المستعين عن يسار قبلة هذا الجامع ، الناطقة بالخير الجامع ، المتشاكلة الأوضاع ،

الواقع على حسنها الأجماع ، التي لم يسبقه إليها أحد من أئمة هذه الأصقاع ، فإنه أقامها على ساباط هنالك ، وجعل بقبليها ويجوفيها من صناعة الخرط والتقاشير والتزيين بالأصبغة ما ينتهج به المار والسالك ، ورثب فيها قراء يقرءون القرآن ، ويختمونه في كل سبعة أيام بطول الأزمان ، وأجرى لهم جراية في كل شهر ينتفعون بها ، ويرتبون لذلك بسببها ، وتم عملها في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمئة . والله يجعل أجر ذلك في ميزانه ، ويضاعف به الحسنات في ديوانه .

ولهذا الجامع من الأبواب بين صغار وكبار ثمانية عشر باباً ، منها في الجانب الغربي باب مجلس القضاة للخصوم ، ومصلى الجنائز ، وباب الصفر الذي يدخل منه الخلفاء لانتظار شهود صلاة الجمعة ، وباب الصفر المعروف بباب النطاعين ، وباب الأولياء سمي بذلك لكثرة من يدخله من العباد ، وباب الكتبيين ، وباب الشماعين الأكبر ، وسعته ستة عشر شبراً ، وباب الموثقين المقابل لتريعة القراقين (136) ، وسعته وارتفاعه مثل الذي قبله ، وفي الجانب الجوفي باب الحفاة المقابل لدار الوضوء القديمة ، وباب الصفر المعروف بباب العميان (137) سمي بذلك لكثرة ملازمتهم للقعود بمقرية منه يسألون الناس ، وباب بيت النساء الأصغر الذي بموخر الصحن ، وباب الخصة المقابل لباب مدرسة الرخام (138) ، وباب بيت النساء أيضاً الذي بأسفل الساباط الفاصل بين الجامع ودار أئمة ، وفي الجانب الشرقي الباب المقابل لطائفة من فندق ابن حيون ، ويعرف بباب ابن عمر ، سمي باسم النجار الذي صنعه ، وهو المحدث في أيام أبي محمد يسكر ، والباب المقابل لدرب ابن حيون ، والباب المقابل لدار الخصة التي من أحباسه ، والباب المدرج القريب لدرب السبع لويات ، ويتصل بزاوية القراء التي أحدثها مولانا المستعين . وفي الجانب القبلي باب المدرج المحدث على يد علي الحدودي المغلق الآن ، والباب الأصغر الذي يدخل

(136) تعرف هذه التريعة اليوم بالمركتطان .

(137) استمر العثماني - وخاصة حفظة القرآن منهم - يجلسون بهذا الباب متسولين إلى عهد قريب .

(138) هي المدرسة المعروفة اليوم بالمدرسة المصباحية ، وقد شرع في ترميمها هذه السنة (1411 هـ - 1990 م) من مال أمير المؤمنين ، الملك الحسن الثاني بن الملك المرحوم محمد الخامس .

إليه من رابغة ابن الغرديس المعد هناك لمن يدخل مستتراً إليه عن أعين الناس كدخول النساء للخصومات والأيمان وتقاضيتها وغير ذلك ، وبين مجلس القضاة والصحن الصغير والزاوية التي هناك بمقدم القبلة بابان فاصلان لذلك ، وبين مقدم الصحن والزاوية المذكورين وبقبله الجامع خمسة أبواب ، الباب الذي يدخل منه الخلفاء لشهود صلاة الجمعة عن يسار المحراب ، وباب موضع المنبر ، وثلاثة مشرعة لها أغلاق وتنطوي عند فتحها من العمل الجيد والصناعة الغريبة ، والباب الأول من هذه الثلاثة القريب من المنبر منه يخرج الخطيب للجمعة ، ومن يتوجه للصلاة على الجنائز ، وبه مقام المعلم بالجنائز التي تكون هناك .

وعدد سواريه الحاملة لسقوفه ثلاثمئة سارية ، منها عشرون من حجر ملون غريب الخلقة ، المشترك من جملتها اثنان وثلاثون وسائرهما يدار عليها (139) ومن الاتفاق الغريب في إحدى هذه السواري الثلاثة منهن عن يمين الواقف مستقبلاً تحت الثريا الكبرى يبصر من دار بها جميع أبواب الجامع التي بداخله ، وطوله من شرق إلى غرب ثلاثمئة شبر وثمانون شبراً ، ومن مقدم القبلة إلى الجوف ثلاثمئة شبر بعد تأسيس مساحة المقدم المذكور وإضافته له ، وعدد بلاطاته واحد وعشرون من شرق إلى غرب ، وسبعة عشر من مقدم الجامع إلى جوفه على أن يكون قدر مقدمه مساحة بلاط واحد ، ويندرج فيه الصحن الأكبر الذي طوله من شرق إلى غرب مئة شبر وثلاثة وتسعون شبراً ، وعرضه من قبلة إلى جوف خمسة وسبعون شبراً ، وبلاطاته المسقفة أحد عشر بلاطاً ، ومساحته جميعه ثلاثة مراجع (140) وثلاثة أرباع المرجع السجلماسية ، ويملاه من المصلين ثلاثة عشر ألف شخص على أن يكون في البلاط سبعمئة وخمسة وستون شخصاً ، ويكون فيه أربعة صفوف وفي الصف مئة وستون شخصاً ،

(139) من هنا يبدأ بتر بضع صفحات من نسخة القصر الملكي ، وقد اعتمدنا على نسخة دار الكتب المصرية في تكميل النقص الموجود فيها .

(140) جمع مرجع : مساحة يحسب بها الفلاحون قدر ألف متر .

وفي أوساط البلاطات مئة وخمسة وعشرون شخصاً بعد حط موضع السواري ، وعدد الثريات التي تسرج فيها المصابيح مئة وثلاثون ثريا جميعها من النحاس مختلفة الصناعات والأشكال والمهمات ، منها عشرة كبار معلقة في البلاط الأوسط ، ويندرج في هذه العشرة النواقيس المكففة بالنحاس وباقي الثريات وذلك مئة وعشرون معلقة في سائرهم ، وزعموا أن فيها من مراكز السرج ألفين ، يوقد بعضها في سائر ليالي السنة ، ويكثر منها في ليالي رمضان ، ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين منه ، وعدد الصبحيات التي توقد أيضاً فيه بطول ليالي السنة سبعون ، العراقيات منها خمسون ، وسائرها نابليات (141) وبلديات ، وعمل في خارجه بدائر حرمة في مواضع معروفة أربعون سراجاً يهتدي بها المارون في طريقه ، وقد أعد لخدمة ذلك كله على الكمال وقادراً يحكم ذلك وأجرى له جراية من فائد أعباسه ، وينبغي أن تكثر سرجه وتغلظ فئالته إذا كثر ماله ، فإن في الاضاعة بها بهاء وأنساً للمجتهدين ، ونفياً لمكان الريب ، وهداية للسابلة ، وتنزيهاً لبيوت الله عز وجل من وحشة الظلام ، ومبلغ غلات أرقافه على اختلافها في بعض الأعوام عشرة آلاف دينار فضية ، ومن جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين المحبس عليه من قبل أمير المسلمين مولانا أبي يعقوب رحمه الله ، وسبب تحببته أنه كان من جملة المال المستخلص لجانب الخلافة ، وخرب وأهمل ، فلما كان في أيام ولاية محمد الحدودي بفاس أمره القاضي إذ ذاك الفقيه محمد بن أبي الصبر ببنائه وإصلاحه ، فتوقف في ذلك وأراد أن يكون باذن من الخليفة ، فأشهد به محمد بن أبي الصبر المذكور على نفسه شهوداً أنه إن لم يوقف له في المحاسبة والا فهو الملتزم لما أنفق فيه ، فبناه الحدودي على ما هو الآن عليه تحت نظر القاضي محمد المذكور ، ثم أعلم بذلك الخليفة أبو يعقوب رحمه الله فبعث الي الحدودي في ذلك فاعتذر له وبين له ما التزم له محمد ابن أبي الصبر فاغتاظ لذلك الخليفة وأمر بإشخاصيه ، وبعث إليه الجشيم قوماً

(141) كانت تصنع في مدينة نابولي الايطالية فسببت اليها ، وفي المغرب نوع آخر من الزجاج الرفيع الملون ينسب الى العراق فيقال الزجاج العراقي . .

بعد قوم وخيف من ذلك عليه . ولما بلغ الحشم لإشخاصه صار يستأني في الطلوع لل خليفة والحشم يترادفون عليه ، ثم إنه طلع و مر في اثناء ذلك على الزاوية التي دُفِنَ بها الامام الحافظ أبو بكر بن العربي رضي الله عنه ، واذا بفقر خارج منها وهو يخاطب ابا عبد الله بن أبي الصبر ويقول له : قل بخفي لطفك ، بلطيف صنعك ، بجميل سترك ، دخلت في كنفك ، تشفعت بنبيك ، فحفظ ذلك ، ودخل على الخليفة وهو يكرر هذه الالفاظ ، فأقعدته بإزائه ، وأظهر له الإكرام والاعتناء به ، ثم سأله عن سبب أمره للحدودي بيناه للفندق ، فقال له : أمرته بذلك ، فانه غلب على ظني أنك تحبسه على جامع القرويين فاستحسن ذلك منه وشكره وأشهد في الحين بتحبسه ، كذا كان يتكرر النقل عن أبي عبد الله ابن أبي زرع وغيره ، وصارت هذه الالفاظ التي دعا بها وكان تحببس الفندق بسببها عند الناس كنزاً نافعاً ، وحرزاً دارعاً ، يتوسلون بها في حاجاتهم ، وظهر نجاحها لكثير من الناس في مطالبهم ، ويذكر ان الرجل الذي ألقاها اليه هو الخضر عليه السلام .

وعدد المؤننين والقومة له في غالب الأوقات أربعون شخصاً ، ولهم على ذلك فوائد وعوائد مختلفة على مر الاعوام .

واما قراءة الحزب من القرآن فيه بعد صلاة الصبح والمغرب فانه كان أمر به يوسف بن عبد المومن بن علي في سائر بلاده ، كذا نقله ابن صاحب الصلاة ، وانتدب لذلك ناس ، واستمر الى ايلة مولانا أمير المسلمين ابي الحسن رحمه الله فأجرى جرایة لعشرة من القراء راتبين لقراءته في سائر جوامع بلاده .

وأما قراءة الكتب فيه لاسماع الناس بعد الفراغ من قراءة حزب الصبح فان بعض أئمة الجامع في أول ايلة بني مرين أعزهم الله كان كثيراً ما يقرأ بين يديه في أول النهار تفسير القرآن للثعلبي ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ، وذلك في جهة خاصة منه ، وكان له قارئ محسن مجيد لذلك فيحضر له بعض الناس ، وكانوا يجلسون فيه متفرقين جلقاً حلقاً ، وربما يأخذون في أمور الدنيا الى أن يطلع النهار فينصرفون ، فأشار هذا الامام على القارئ أن يتصدر قرب المحراب في الوقت المذكور ، ويقرأ هنالك

من هذه الكتب فصولاً لاسماع الناس ، فاجتمع اليه سائر من كان يجلس به وانتفع الناس بذلك كثيراً ، وربما يجتمع في المجلس آلاف من الناس ، وذلك في سنة احدى وخمسين وستمئة ، واعلم بذلك من كان اذ ذاك من خلفائهم فاستحسنه واجرى للقارىء جرایة ، ثم بعد ذلك زيد في قراءة الكتب قراءة الاخياء لأبي حامد الغزالي ، وفي ايلة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله أمر بزيادة كتاب الشفا للقاضي ابي الفضل عياض ، فاستمر العمل على ذلك حتى الآن .

ومما جرى في انتصاب قبيلته فيما حكى عن أمير المسلمين ابي يوسف ابن عبد الحق رحمه الله لما أمر ببناء المدرسة اليعقوبية (142) التي بقبلته على يد قاضيه ابي امية الدولبي سنة خمس وسبعين وستمئة ، وكان الذي انفرد بنصب قبيلتها المعدل محمد ابن الحباك ولم يشاركه في ذلك غيره من أهل علم الهيئة ، وظهر انها منحرفة عن قبلة جامع القرويين أنهى الأمر في ذلك لمولانا أمير المسلمين ابي يوسف المذكور ، وقال بغض من حضره ممن لا يحسن العبارة في السؤال والجواب في ذلك ان في بعض مساجد فاس انحراف بعضها عن بعض ، فرأى رحمه الله ان جمع جميع فقهاء زمانه للنظر في ذلك ، فيحكي انهم قالوا له ان جامع القرويين قد نُصبت قبلته على سمت القبلة التي نصبها الامام الصالح ولي الله ادریس بن ادریس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ومز على ذلك مئون من السنين ، وقد صلى اليها جماعة من العلماء والصلحاء والقضاة وأمراء العدل ممن يقتدى بأقوالهم وأفعالهم ممن لا يحل لأحد أن يظن بهم إلا خيراً فلم يغيروا ذلك ولا حرفوه ، وما يظهر في بعضها من الانحراف عن بعض قد يتقارب من الصواب على رأي من يرى أن المطلوب من قبلة مغربنا بل من قبلة سائر الآفاق انما هو لجهة مكة شرفها الله تعالى لآعين الكعبة ، والجهة في ذلك حاصلة ، وهو القول الراجح عندهم ، والا فكيف يقدّر على تعيين سمت ، اعني سمت البيت الكريم ،

هاية ما عند الناس في الأقاليم الغائبة عن مكة شرفها الله تعالى المحافظة على جهة البيت لا سمته ، واجتهاد الأكثر أقرب الى الصواب ولا يعد من الخطأ ، وقد يؤثر مخالفة الأكثر الشنآن بين المؤمنين والاخلال في صلاة المصلين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين المشرق والمغرب قبلة . فأقر ذلك كله على حاله رحمه الله .

وقد سلم هذا الجامع من البدع القبيحة ، ولم يتعرض فيه لما تعرض في بعض جوامع الآفاق ، ومهما ظهرت فيه بدعة فإن الله سبحانه يلهيهم من يزيلها فيزيلها ، وجرى في أول سنة تسع وأربعين وسبعمئة أن بعض المجودين (143) لقراءة القرآن فيه كان يقعد بين يديه الاحداث من الصبيان لتجويد القراءان ، فيجتمع اليه الناس إلى أن حدثت فتن بسبب ذلك ، فرفع ذلك للشيخ الفقيه الصالح المدرس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله فأشار على بعض من له حكم نافذ أن يشتد في تغيير ذلك ويمنعه كل المنع ، فمنعهم وفرق جمعهم ، وأحسبه لما أن علم أن هذا الصبي القارئ بين يدي هذا الشخص ليس ممن يقصد التعلم ، وليس جلوسه كجلوس المتعلمين أمر باقامته عملاً على ما في المدونة وغيرها من اقامة الذي يجلس في المسجد يوم الخميس وغيره لقراءة القرآن ، ونظم اذ ذاك الشيخ الاستاذ المقرئ علي بن سبع رحمه الله قصيدة وقرئت على الشيخ عبد العزيز المذكور ، فكانت سبباً في اشتداده على قيام هذا القارئ والمقرئ . وما هي :

ألا حققوا عني مقالا هو الجدُّ	لمنهج أهل الحق يسعده القصد
أقول احتساباً ليس مني تعصباً	على أحد ممن ينظمه العقد
ذوو العلم في الاقراء ضاعت صفاتهم	ولم يبق منها غير ما رسمه بيدو
رياء وعجب وانتصاب وشهرة	وتسميع من يرجو لتسميعه رقد
ألم تر فاس الغرب أعظم بقدرها	وجامعها العظمى التي هي تعدُّ
للفعل عبادات تصوغ وموطن	لجمع رجال الله ياتونها وفد

بدت بدع فيها ولا منكر لها
تبرز للإقراء فيها جماعة
وما لهم فهم يميز ما حوت
سوى نعم يبدونها بتحسين
فبعضهم في جمعة وخميسها
ويقريء تلميذاً لذلك خصه
وعن مثل هذا حذر الحبر مالك
وبعض بتلميذ له حسن صورة
كأقراص نحل قد ملئن بسمها
فيقعه إماماً ملاصقاً جنبه
يعظمه بالقرب منه مكانة
ويعقبه جزءاً من الوعظ رافعاً
يرده في الحفل غصاً بأهله
وجل كتاب الله عن حالة الغنا
وهذا لعمر الله أكبر بدعة
لفاعلها ثم وتغليظ زاجر
أينصب بالقرآن للأكل أو لما
وما هذه آثار قوم تقدموا
فقد عرفوا عند النهار بصومهم
ويتلوئه والسمع قرخ جفثهم
مضت بهم الأعصار يكي لقدمهم
مضى سلف الإخيار أكرم بقدرهم
وليس لهم فهم به يتنبأوا
جميع علوم الخلق منه تفرعت
أوامره والنهي قد وضحت به
وقد حرمت فيه الفواحش كلها
وقد جاء بالإخلاص فيه أوامر

وأبوابها ان فتحت قلها السد
ولا خبرة تبدو لنهم ولا نقد
طريقة أهل الضبط حل ولا عقد
وتطريب ألحان لمن راح أو يغدو
يجمع حفلاً ليس يحصره الحد
لدى كل أسبوع تعلمه الصد
وقال : لمن يئديه في المسجد الطرد
شباب له صوت لنيل الهدى ضد
فباطئها حتف وظاهرها شهد
وأما أماً بارزاً للورى يشدو
وتلك عند الله جل اسمه بعد
به صوته كيما القلوب له تغدو
برفع وحط هكذا الصدر والورد
وتطريب أصوات بها يقع الوجد
يقابلها المنع المبرح والرد
وأيضاً وعيد في القيامة لا وعد
يؤدي الى التحريم فاعله وعد
من أهل كتاب الله أفناهم الجهد
وفي ليلهم أيضاً أليفهم السهد
جوارية تنساب قابلها الخد
فياأسفي اذ حل بي منهم الفقد
وأعقبهم قوم قد ابتدعوا نكد
معاني كتاب الله إذ منه يمتد
وكل حدود الله فهو لها حد
ولكن عين الجهل عن ذاك تستد
سوا ظهرت أو أبطنت حالها فرد
ونم رياء الناس جاء به المنرد

فقد رام أركان الشريعة تنهد
من الذم إذ في فعله عُمَ الحمد
ولو بعد حين إذ شياطينهم جند
لهم فتنة شبه العنراى فلا جحد
وليس لهم في موطن غيره رشد
ببغداد إذ منها عرى المنع تشدد
طريقته حتى يُغَيِّبَكَ اللحد
ورفعته لما تألفه المُرْد
ونفسي قد أوصيتها ذاك لا تعدو
بإخلاص تقوى الله يتبعها الزهد
بأبياته اللاتي تكفلها المجد
فلا يُخْتَشَى في الحق عمرو ولا زيد
نعم ، واشهدوا أني لهم في الدنا عبد
وتشملني البشرى من الله ياسعد
فليس لهم قبل لدي ولا بعد
مقبحة منها الصحائف تسود
ومن أنتم حتى يكون لكم عند

فمن ردها أحكامه متعتاً
وفي صحبة الأحداث ما ليس يختفي
مخالطهم في دينه سوف يرتدي
وقد جاء في بعض الأحاديث أنهم
ولا يصلح الصبيان إلا لمكتب
فعمرو بن يوحنا ومدرک عبدة
بها تضرب الأمثال فاحذر سلوكها
فكم من جليل القدر قد حط قدره
فإن تقبلوا نصحي فإني نصحتكم
فمن كان ذا نصح بعلم يعن به
وقال الإمام الشاطبي وحبذا
خذوا النظم عني وانظروا منه سره
وإني لأهل العلم والدين خادم
فهم عمدتي فالله ينقضي بهم
وأما رعاغ الناس من كل مدع
وليس على الأعمال منهم طلاوة
فهم مثل ما قالوا كذا هو عندنا

ومدرک (144) المشار إليه في هذا الأبيات هو الذي أنشأ الرجز
المزدوج المشهور في شأنه مع عمرو بن يوحنا النصراني لكونه كان يهواه ،

(144) هو مدرک بن علي الشيباني الشاعر البغدادي الشهير ، كان من أفاضل أهل الأئب
والمطبوعين في الشعر ، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير ، فإن حضره شيخ أو كهل قال
له مدرک : انه يقبح بمثلک ان يختلط بالأحداث والصبيان فقم في حفظ الله فيقوم ! .

وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في الجانب الشرقي من بغداد بدار الروم ، وكان من
أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً ، ومن يغشون مجلس مدرک فمشفقه مدرک وهام به ، وله فيه أشعار
كثيرة ، منها القصيدة المزدوجة التي يوردها الجزائي . وقد مات مدرک متأثراً بحبه لعمرو بعد ان سل
جسمه وأصابه الومولس . أنظر أخبارهما في ديوان الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني ، ر مصارع
العشاق لجعفر السراج القاري ، وينبغي ان نقارن هذه المزدوجة بها مضممة في الأئيس المطرب للشريف
العلمي ص 221 .

وأدركته في ذلك فتنّة نعوذُ بالله من الضلال بعد الهدى ، وهو :

من عاشقٍ ناءٍ هواه دان	ناطقٌ دمعٍ صامتٌ اللسان
موثقٌ قلبٍ مطلقُ الجُثمان	معذبٌ بالصدِّ والهجران

• • •

من غيرِ نِيبٍ كسبتُ يداه	كأنما عفاءٌ من أضناه
شوقاً إلى رؤيةٍ من أشقاه	يشكو هوى نَمَثٍ به عيناه

• • •

ياويحه من عاشقٍ ما يلقي	من أدمعٍ منهلةٍ ما ترقا
ناطقةٍ وما أحرثَ نطقا	تخبرُ عن حبٍّ له استرقا

• • •

لم يبقَ منه غيرُ طرفٍ يبكي	بأدمعٍ مثل نظام السلك
تطفئُ نيرانَ الهوى وتنكي	كانها قطرٌ سحاب تحكي

• • •

إلى غزالٍ من بني النصارى	عذارُ خنثيه سبى العذارى
وغادرَ الأسدَ به حيارى	في ربةِ الحبِّ له أسارى

• • •

رثمَ بدارِ الرومِ رامَ قتلي	بمقلةٍ كحلاء لا من كحل
وطرةٍ بها استطارَ عقلي	وحسنِ وجهٍ وقبيحِ فعل

• • •

ما أبصرَ الناسُ جميعاً بذرا	ولا رأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسنَ من عمرو فذئبتُ عمروا	ظبيٌ بعينيه سقاني خمرا

• • •

ها أنا ذا بخدّه مقدودٌ	فالدمع في خدي له خدود
ما ضرَّ من فقدي له موجود	لو لم يقبح فعله الصدود

إن كان نبي عنده الاسلام فقد سعت في نقضه الأيام
واختلت الصلاة والصيام وجاز في الدين لنا الحرام

• • •

باليتني كنت له صليبا أكون منه دائما قريبا
أبصر حسنا وأشم طيبا لا وأشيا أخشى ولا رقيا

• • •

بل ليتني كنت له قربانا ألثم منه الثغر والبنانا
أوجاليفا (145) كنت أو مطرانا (146) كما يرى الطاعة لي أمانا

• • •

بل ليتني كنت لعمر مصحفا يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلما يكتب بي ما ألفا من أدب مستحسن قد صنفا

• • •

بل ليتني كنت لعمر عوده أو جبة يلبسها مقدوده
أو بركة من اسمه مأخوذه أو بيعة في داره مشهوده

• • •

بل ليتني كنت له زنارا (147) يديرني في الخصر حيث دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا صرت له حيث يشد إزارا

• • •

قد - والذي يقيه لي - أفناني وافتن عقلي والضنا كساني
كسبي على البعاد والتداني حل محل الروح في جثمانني

• • •

(149) الهاللق : رئيس للنصارى في بلاد الاسلام ، يكون تحت نظر بطريق أنطاكية .

(148) رئيس ديني للنصارى في عاصمة العراصم .

(147) هزام يشده النصراني في وسطه .

واكبدي من خدّه المضرج واخرّبي من ثغره المفلج
لا شيء مثل الطرف منه الأدعج أذهب للنسك وللنحرج

• • •

إليك أشكو ياغزال الأنس ما بي من الوحشة بعد الأنس
يا من هاللي وجهه وشمسي لا تقتل النفس بغير النفس

• • •

جذ لي كما جدت بحسن الود وارع كما أرعى قديم العهد
واصد كصدى عن طويل الصد فليس وجد بك مثل وجدى

• • •

ها أنا في بحر الهوى غريق سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسني حريق قد رق لي الغدو والصديق

• • •

فليت شعري فيك هل ترثي لي من سقم ومن ضني طويل
أم هل إلى وصلك من سبيل ؟ لعاشق ذي جسد نحيل

• • •

في كل عضو منه سقم وآلم ومقلّة تبكي بدمع وبدم
شوقاً إلى بدر وشمس وصنم منه إليه المشتكى إذا ظلم

• • •

أقول إذ قام بقلبي وقعد ياعمرو ياعمرو قلبي بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد إن امرأاً تسعده لقد سعد

• • •

ياعمرو ناشدك بالمسيح إلا سمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح باخ بما يلقي من التبريح

• • •

يا عمرو بالحق من اللاهوت (148) والروح روح القدس والناسوت (149)
ذلك الذي في مهده المنصوت عوضاً بالنطق عن السكوت

• • •

بحق ناسوت ببطن مريم حل محل الريق منها في الفم
ثم استقام في ختم الأقدم يكلم الناس ولما يقطع

• • •

بحق من بعد العمات قمصا ثوباً على مقداره قد قصصا
وكان لله تقياً مخلصاً يشفي ويرى أكملها وأبرصا

• • •

بحق محيي صورة الطيور رباعث الموتى من القبور
ومن إليه مرجع الأمور يعلم ما في البر والبحور

• • •

بحق من في شامخ الصوامع من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع خوفاً من الله بدمع هاجع

• • •

بحق قوم حلقوا الرعوسا وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مشمعين يعبدون عيسى

• • •

بحق ماره مريم وبولس بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيال بحق يونس بحق حزقيل وبيت المقدس

• • •

ويوشع اذ قام يدعو ربّه
ومستقيلاً فأقال تنبّه
مُطَهِّراً من كل سوء قلبه
ونال من أبيه ما أحبه

• • •

بحقّ ما في قلة البرون
بحقّ ما يؤثر عن شمعون
من نافع الدواء للجنون
من بركات النخل والزيتون

• • •

بحقّ أعياد الصليب الزهر
وبالشعانين العظيم القدر
وعيد أشمونا وعيد الفطر
وعيد يومار الرقيق الذكر

• • •

وعيد أشعيا وبالهياكل
يُشفّى بها من كل خبل خابل
والدخن التي بكفّ الحامل
ومن دخيل السقم في المفاصل

• • •

بحقّ سبعين من العباد
فأرشدوا الناس إلى الرشاد
قاموا بدين الله في البلاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد

• • •

بحقّ ثنتي عشرة من الأمم
حتى اذا جنح الدجا جلا الظلم
ساروا الى الأقطار يتلون الحكم
ساروا إلى الله ففازوا بالنعم

• • •

بحقّ ما في محكم الإنجيل
وخبير لربنا جليل
من محكم التحريم والتحليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل

• • •

بحقّ مرعيد الشفيق الناصح
بحقّ مكشحا الحكيم الراجح
بحقّ لوتا ذي الفعال الصالح
والشهداء بالفلا الصخاصح

والمذبح المشهور في النواحي
وعابد بأك ومن نواح

بحق معمودية الأرواح
ومن به من لابس الأمساح

• • •

وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينك من السواد

بحق تقريبك في الآحاد
وطول تفتيك للأكباد

• • •

بالحمد لله وبالتنزيه
عن كل ناموس له فقيه

بحق ما قدس شعيا فيه
بحق نسطور وما يرويه

• • •

وبعض أركان التقى والحلم
موثما كان حياة الخصم

شيخان كانا من شيوخ العلم
لم ينطقا قط بغير فهم

• • •

والجائليق العالم الرباني
والنظر الأكبر والرهبان

بحرمة الأسقف والمطران
والقس والشماس والإيران

• • •

وقارلوقا حين صلي وابتهل
وبالسليخ المرتضى بما فعل

بحرمة المحبوس في أعلا الجبل
وبالكنيسات القديمة الأول

• • •

وما حوى مغفر رأس مريم
وحق كل بركة ومحرم

بحرمة الأشعث والمقدم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم

• • •

وليلة الميلاد والسيقاق
والفصح يامهذب الأخلاق

بحق يوم الذبح ذي الإشراق
والذهب المذهب للنفاق

• • •

بكل قداس على قداس قدسه القسُّ على الشماس
وقربوا يوم الخميس الناس وقدموا الكاس لكل حاسي
• • •

إلا رأيتُ في رضا أديب باعده الحبُّ عن الحبيب
قد ذاب من شوق إلى المذنب أغلا مناهُ أيسرُ التقريب
* * *

فانظرُ أميري في صلاح أمري محتسباً في عظيم الأجر
مكتسباً في جميل الشكر في نثر ألفاظٍ ونظمٍ شعر

ولولا ما التزمناه من ستر المجانات ، ودفن السيئات ، لشرحتُ
ما ناله من المحن والآفات ، والله يعصمُ من الفتن والزلات ، بمئه وكرمه
وطوله .

وهذا الجامعُ قد يشكو بلسان حاله ، في بعض الأزمان عند
إهماله ، وذلك إن الذين أسسوه ، وزادوا فيه الزيادات ورثبوه ، وحبسوا له
الأوقاف وعظموه ، ومنعوا الصرف منها في غير وجهه وحذروه ، إنما
فعلوا تلك بنيات صالحة ، وعزمات ناجحة ، ولكل امرئ ما نوى ، فينبغي
أن يسلك فيه طريق الأولين ، ويتبع فيه سبيل المؤمنين ، والقيام بالمساجد
ركنٌ من أركان الدين ، وطهارتها ونظافتها شرطٌ في صلاة المصلين ، وهي
من بيوت الله الذي أين أن ترفع ، وتطهر للقائمين والعاكفين والركع ،
وأحوال الدنيا الدنية فيها ممنوع ، وأعمال الديانة الأخروية فيها مشروع ،
والصلاة هي أول ما ينظر فيه من أعمال العبد ، فإما القربُ من الله بقبولها ،
أو الطردُ والردُّ بردها ، فرحم الله عبداً وفي حقها ، وأدى الأمانة التي
طوقها ، وضبط أحوالها ، ونمى مالها ، وأخذ من حله بالطريق الفقهي بعد
الاجتهاد ، وصرفه في مواضعه بالنظر الديني ووجه السداد ، فذلك يكونُ
ممن رفع قدرها ، واستوجب من الله أجرها ، ومهما استصحبها الإهمال ،
والأعراضُ والأغفال ، شكَّت إذ ذاك بلسان الحال ، إذ هو أفصحُ من لسان
المقال ، يروى أن مسجداً من المساجد ارتفع إلى السماء شاكياً إلى الله

بأهله لعملهم فيه أعمال الدنيا ، فاستقبلته الملائكة وقالوا بعثنا بهلاكهم ، حكى معناه الامام الطرطوشي في كتاب (النهي عن الحوادث والبدع) الذي من تواليفه ، وحملني على سرد هذه الفصول التنبيه لمن ولي أمرها من الغفلات ، وإيقاظهم من السنات ، عسى الله ينفعني وإياهم في الحياة وبعد الممات .

* * *

وأما جامع الأندلسيين فإن الذين اعتنوا بتاريخ فاسذكروا انه ابتدئ البناء فيه سنة خمس وأربعين ومئتين على يد مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري بعد أن اشترت أرضه بوجه صحيح ، وأنفقت في ذلك كله من مالها الموروث من أبيها ، وسُمي بذلك لأن الامام إدريس بن إدريس لما وفد عليه من وفد من أهل جزيرة الأندلس أنزلهم بالعدوة الشرقية من فاس ، فسميت بذلك عدوة الأندلسيين ، فلما أسس جامعها وكان ممن أعان على بنائه جملة من الأندلسيين الساكنين هناك سُمي بجامع الأندلسيين ، قال البكري في مسالكة : انه كان من ست بلاطات وله صحن صغير فسيح به أصول جوز وغيره من الأشجار وساقية غزيرة تعرف بساقية مصمودة (150) ، يذكر أن أحد عمال الناصر لدين الله المرواني حين تغلبوا على بعض بلاد المغرب زاد فيه زيادات من جملتها الصومعة التي فيه ، وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثلاثمئة حسبما كتب في عتبة بابها . ونقلت الخطبة اليه من جامع الاشباخ على يد الأمير حامد بن احمد الهمداني عامل عبيد الله الشيعي حين تغلب على فاس سنة احدى وعشرين وثلاثمئة . وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح علي بن محمود الصدفي ، فلم يزل الأمر على ذلك الى أن زيدت فيه الزيادة المشار اليها على يد أحد عمال الناصر لدين الله ، ولم يزل كذلك الى أن أنهى للناصر الموحي سنة ستمئة أنه يحتاج إلى الإصلاح والبناء ، فأمر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به المدرج ، وسعته عشرون شبراً ، وارتفاعه سبعة وعشرون شبراً ، وأدراجُه

أربع عشرة درجة ، وبأسفل أدراجة شباك من خشب الأرز فيه ثلاثة أبواب في الوسط ، منها بيلة من الحجر الأحمر يتفجر لها الماء من وادي مصمودة الذي يمرُّ بأسفل هذا الباب الأكبر المذكور ليغسل الحفاة به أقدامهم ، وصنع بأعلا هذا الباب قُبَّتَيْن : إحداهما من جبص مقربة من داخله ، والثانية من خشب الأرز من خارجه ، وكان بها طلسم للخطاف فلا يدخلها ولا يمرُّ بها ولا يعيش فيها ، وتعطل في سنة عشرين وسبعمئة ، وأمر أمير المؤمنين الناصر أيضاً ببناء سقاية ومدخل لبית صلاة النساء وعليهما مصرية لأئمة الجامع ، وذلك عن يمين الخارج من باب المدرج المذكور ، وبالقرب من ذلك دار وضوء تحاكي التي بجامع القرويين في سنة أربع وستمئة . والبيلة والخصبة اللتان بجوفي صحبه مما يحاكي أيضاً بيلة جامع القرويين وخسبها ، أمر بعملهما السيد يحيى نجل خلفاء الموحدين وأنفق فيها من ماله ، ولم يزل الجامع كذلك إلى أن اعتل سقفه وجملته من سواريه ، فأنهى خطيبه الشيخ الصالح محمد بن أبي القاسم ابن مسونة أمر هذا الجامع لأمر المؤمنين أبي يعقوب رحمه الله فأمر باصلاحه على ما هو الآن عليه ، وذلك في سنة خمس وتسعين وستمئة . وكان الناصر الموحّد قد جلب الماء له من عين بخارج باب الحديد ، فاعتل في مواضع ، وجلب له الماء من وادي مصمودة إلى إيالة أمير المسلمين أبي ثابت عامر ، فأمر بجلب الماء له من العين التي بخارج باب الحديد ، وبيناء السقاية بالجهة الغربية من جوفيه ، وذلك سنة سبع وسبعمئة .

وعدّد بلاطاته من شرق إلى غرب خمسة عشر بلاطاً ، ومن قبلة إلى جوف ثلاثة عشر بلاطاً ، وفي مقدم قبليته المرتفع مقدار بلاط بعد تعديل انحرافه بالمساحة ، وفي طوله على هذا من قبلة إلى جوف مئتا شبر ، وفي عرضه كذلك ، ويكون في البلاط الواحد وأساطينه من أشخاص المصلين ثلاثمئة شخص ، فعدّد ما يملأه من المصلين على هذا أربعة آلاف شخص ومئتا شخص .

وعدّد سواريه مئة سارية وأربع وثلاثون سارية .

وأما صومعته فسعة كل وجه منها ستة عشر شبراً ، وفيها من الأبراج أربع وسبعون درجة ، وارتفاعها سبعون شبراً فيما ذكر ، وفي أعلا هذه الصومعة قبة لجلوس المؤننين لتداول الأذان ، وعدد المؤننين والقومة في هذا الجامع عشرون شخصاً ، ولهم عوائد وفوائد معلومة عندهم ، وقد عمل في أعلا هذه الصومعة صار من خشب ينشر فيه علام أبيض في أوقات صلاة النهار ، وفنار مسرج في أوقات الليل في أول إيالة مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله ، والمؤننون في هذه الصومعة يقتدون في أذانهم بأذان أهل جامع القرويين على العادة القديمة المتداولة إلى الآن .

وعدد ثرياته الكبار والصغار إحدى وستون ثريا ، الكبار منها خمس قد هلقن بالبلاط الأوسط منه ، وبقيتهن في سائر الجامع في مواضع معلومة منه ، وفيه من الصبحيات العراقيات خمس بقرب محرابه ، وثلاثون بسالره ، وفي فرش صحنه من الآجر من شرق إلى غرب مئة صف واثنتان وثلاثون صفاً في كل صف مئتا آجرة وعشرون آجرة ، فيصح في تكسيره سبعمائة ألف آجرة وأربع وسبعون آجرة .

ولهذا الجامع من الأبواب تسعة ، فمن الجانب الغربي ثلاثة ، ومن الجوف باب المدرج المذكور ، ومن الجانب الشرقي خمسة منها اثنان يدخل منهما مقدم الجامع الذي يصلي فيه على الجنائز ، وبين مقدم الجامع وبيته الأهم بابان مدرجان أحدهما عن يسار المحراب لدخول الخلفاء مهما أرادوا شهود صلاة الجمعة ، والثاني عن يمين المحراب والمنبر ، ومنه يخرج الخطيب يوم الجمعة للخطبة ، ومنه يتوجه للصلاة على الجنائز .

وكان جملة من العلماء يدرسون العلم في مواضع من هذا الجامع ، وكانوا أهل شوري ممن يقتدى بهم يقصدهم الناس من أقطار البلاد ، فمن مهود لتلاوة القرآن ، ومن مدرس ، ومن طالب لما شاء من فنون العلم في مجالس شتى منه . وكان أيضاً جملة من الصالحاء والعباد يلتزمونه قد بلغوا للعبادة بعد تحصيل العلم ويقصدهم الناس للفتاوي وطلب العلم

والأدب والتماس الدعاء . فمن المتقدمين الملازمين لهذا الجامع الفقيه الصالح الولي الورع جبر الله بن القاسم الأندلسي نزيل عدوة الأندلسيين من فاس ، وهو ممن أدخل علم مالك إليها ، وهو من مشاهير فقهاءها ومتقدميهم ، لقي أصبغ بن الفرّج وسمع منه ، كذا قال صاحب (المدارك) . حدث عنه أن رجلاً رأى في النوم كأن قائلاً يقول له : ان شئت أن ترى نظير معاذ بن جبل فصل في الجانب الغربي من جامع الأندلس ، فالرجل الذي يدخل وعليه برنس وصفته كذا وكذا هو ذاك ، ففعل الرجل ذلك ، فاذا بجبر الله بن القاسم على الصفة التي تكرر له القائل في النوم ، وهو رضي الله عنه ممن لحق دراس بن اسماعيل رضي الله عنه ، ويذكر أن دراساً لما قدم بكتاب محمد ابن المواز قال له جبر الله ابن القاسم : ما الذي جئت به ؟ فأخبره عن الكتاب المذكور ، فقال له انكر منه ، فجعل دراس يذكر المسائل ، وجعل جبر الله يجيبه بما حفظ وما لم يحفظه قاسه على أصول أصحاب مذهب مالك . فما خالف كتاب محمد بن المواز الا في مسألة الثور اذا اشتراه انسان في اوان الدراس ولم يشترط أنه دراس فوجده لا يدرس ، فهل هذا عيب يرد به أم لا ؟ كذا ألفي بخط الفقيه محمد بن القاضي الأعدل أحمد بن الميمون الفشتالي .

وممن كان يلتزم هذا الجامع وولي القضاء بعدوة الأندلس الفقيه الصالح القاضي الأعدل الورع عبد الله بن محمد ابن محسود الهواري (151) قدم من قرية بأوربة ونزل في جهة باب بني مسافر من عدوة فاس بالأندلس ، وكان عدلاً في احكامه ورعاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، رحل الى القيروان ، ولقي به الفقيه الحافظ عبد الله بن أبي زيد رحمه الله ، وشاهد تأليفه للنوادر ، وكان عنده من رجال المدونة ، وكان رحمه الله أخرج زيادات مختصر ابن أبي زيد على المدونة ، ثم ولي القضاء بفاس كما تكرر . وكان رضي الله عنه رجلاً متقللاً من الدنيا مجتهداً في الأحكام ، أقام الحدود كلها : قتل وصلب وقطع الأيدي وأقام اللعان . ولما توفي رحمه الله طلب في فاس من يعامله في شيء فلم يوجد له معامل ، فبحث عن سمنه وزيته من أين يشتريه ؟ فوجد له صاحب بمكناسة الزيتون يشتري له الزيت ويبعته

إليه ، وكان له بقيرتان ، ويأتيه قوته من هواره ، وزوجته تغزل له كسوته من الثياب القطنية ، حدث عنه أنه نزل به ضيف وهو قاض ، ولم يكن عنده في ذلك الوقت ما يقيم به ضيافة ضيفه ، فأعطته زوجته شيئاً من غزل فأعطاه لبقال كان يقرب منه رهناً في شيء من سمن ، فأعطاه سمناً حاراً لم يقدر على أكله ، فلما كان بعد أيام وهو قاعد في موضع أحكامه وصل إليه ذلك البقال مع رجل آخر يطلبه بشيء له قبله ، فلما رآه القاضي قام من مجلسه ، وقال لبعض جلسائه : احكم بين هؤلاء فإني أقوم إلى شغل ، فحكم ذلك الرجل بينهما وانصرفا ، فلما رجع القاضي لموضعه أعلمهم أن ذلك البقال فعل معه كذا وكذا ، وقص عليهم أمر السمن وقال : خشيت الآن أن يجلس بين يدي للحكومة أن تميل نفسي عليه أو لا أسمع منه كما أسمع من خصمه ، فترك القضاء بينهما لأجل ذلك ، توفي رضي الله عنه سنة إحدى وأربعمئة ، وقبره شهير بباب الجيسة عليه جرواو (152) من الحجر ، والدعاء عليه مستجاب نفع الله به .

ومنهم الشيخ الفقيه يوسف بن محمد بن يوسف ابن النحوي (153) كان رحمه الله ونفع به من أهل العلم والزهد والجذ والاجتهاد ، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة ، حدث عنه أنه لما دخل الروم مدينة صقلية وخرج منها من كان من أهل الاسلام - خرج منها رجل من أعيانها وكان موسراً ، فلما خرج إلى بلاد الاسلام عوفي فنام ليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، فقال له يارسول الله : ابتليت بالجلاء عن بلدي وعن مالي ثم فقدت بصري ، قال : فجر النبي صلى الله عليه وسلم يده على وجهه فأبصر الرجل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ السلام مني على أخي

(152) سياج - حائط ، والكلمة بربرية .

(153) أبو الفضل يوسف ابن النحوي من أهل قلعة حماد بالمغرب الأوسط ، وأصله من نورز ، دخل سجلماسة وفاس ، ثم عاد إلى قلعة حماد وبها توفي عام 513 صاحب أبا الحسن اللخمي ، وأخذ عنه محمد بن علي ابن الرامة وموسى بن حماد الصنهاجي وغيرهما ، وكان ابن النحوي من أهل العلم والفضل وعلى هدي السلف الصالح ، ولما أفتى فقهاء المغرب بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ووصل كتاب علي بن يوسف بن يوسف بن تاشفين بالتحريج عليه انتصر ابن النحوي للغزالي وكتب للسلطان في ذلك . له أخبار كثيرة تراجع في التثوف ع 9 .

عيسى ! فاستيقظ الرجل وقد رجع اليه بصره ، وكان يرى أنه يدرك زمان عيسى عليه السلام ، ثم توفي الرجل بعد ذلك ، فأخبر الفقيه ابن النحوي بخبر الرجل ، فقال رحمه الله : ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل اقرأ السلام على أخي عيسى أنه يدرك زمانه ، وإنما أراد أن عيسى عليه السلام كان يبرئ في اليقظة وأنا أبرئ في المنام . وحكي عن الشيخ الصالح علي ابن حرزهم رحمه الله أنه قال : قال لي والدي رحمه الله : امش للفقيه ابن النحوي واسأله في الدعاء فإنه رجل صالح ، فأتيت المسجد الذي كان يصلي فيه ، فوجدته فيه وذلك عند صلاة المغرب ، فسلمت عليه فقال لي : ابن من أنت ؟ فقلت له ابن إسماعيل ابن حرزهم ، فدعا لي ، ثم أقيمت صلاة المغرب فدخل المحراب ووقف ليكبر ، فرأيت الثوب الذي عليه يرتعد على منكبيه لما غلب عليه من الهيبة والخوف .

ومنهم الشيخ الصالح محمد بن أحمد ابن وشون (154) ، كان رحمه الله ونفع به مشهوراً بالخير والعفاف ، وكان إماماً بجامع الأندلس شرفه الله بالذكر فيه من مدينة فاس خرج الى الحج وجاهد في سبيل الله . حكي عنه رضي الله عنه أن الوالي وجّه اليه أن يتولى قضاء مدينة فاس عدوة الأندلس ، فامتنع كل الامتناع ، ولم يقدر عليه في الإجابة لما أريد منه ، فأمر بسجنه وتكبيله ، وأن يكون سجنه في داره ، فبقي على تلك الحال مدة ، فلما كان في يوم الجمعة أمر مملوكاً له يسمى سليمان أن يقرب له ماء يتوضأ به للصلاة ، فلما أخذ في الوضوء انحل الكبل من رجله من غير واسطة كرامة له ، نفع الله به .

وقصدنا بهذه الحكاية وأمثالها البركة في سرد تواريخهم ونشر أقوالهم رجاء نزول الرحمة عند ذكرهم وتكر أمثالهم ، قال سعيد بن عيينة رضي الله عنه : عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة . وقال بعض المشايخ : حكاية الصالحين جند من جنود الله تعالى يثبت بها قلوب أوليائه . قال : وشاهده

قوله تعالى : وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . وقال عبد الله بن جبير : سمعت محمد بن يونس يقول : ما رأيت أنفع للقلب من ذكر الصالحين ، وقال سفيان الفضيل بن عياض في كلام جرى بينهما : ان لم تكن صالحين فإننا نحب الصالحين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ، والله درُّ القائل :

أحب الصالحين ولست منهم لأنني بهم أرجو الشفاعة
وأبغض من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضاعة

وهنا انتهى القول فيما قيده واختصرته ، والله سبحانه ينفع بما نويته وقصده ، مع أنني لست من أهل التأليف ، ولا من أولي المعرفة بالتصنيف ، فمن نقل ما قاله الناس ، فما عليه في نقله من باس ! وأنشدت :

لعمري أبيت ما نسيب المعلا إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوَّح نبثها رعي الهشيم

فمن وجد خطأ فليصح ، أو زللاً فليسمح ، فالعصمة من الخطأ متعذرة ، وأوقات البحث غير مستحضرة ، والأمر كله لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وحسبنا الله وكفى ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أثيراً .

انتهى والحمد لله (155) .

(155) بعد هذا في آخر نسخة دار الكتب المصرية ما يلي :

كمل هذا المختصر المبارك بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه العبيد الخطاء الضعيف ، الراجي غفر سيده الكريم اللطيف ، الجيلاني بن الحاج عبد الملام الغرابلي القصري الدار والمنشأ غفر الله له ولوالديه ، كتبه لمحبه وابن سيده الخير الأصلح ، ذي الرأي والعقل الراجح الأنجح ، السعيد الأريج ، سيدي عبد الله بن الولي الصالح سيدي محمد بن القطب الكامل الناجح سيدي الجيلاني بن عبد الله المصباحي الشريفة الحسني ، نفع الله به القاسخ والمنسوخ له بعنه وفضله وكرمه آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وفي الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة وسبعين ومئة وألف .

مواقع أسماء الأماكن والمباني الفاسية الواردة في هذا الكتاب

وردت في جنى زهرة الآس أسماء بعض أحياء فاس وأماكنها ومبانيها ، ومن هذه الأسماء ما دثر من زمان تأسيس المدينة الى زمان المؤلف ، ومنها ما دثر من عصره الى عصرنا ، ومنها أسماء بقيت على حالها الى اليوم لم تنتثر ولم تتبدل ، ونرى من المفيد ان نثبت تلك الأسماء جميعاً ونحاول تحديد مواقعها جهداً الامكان .

أغلان - اتفق الجزنائي وابن أبي زرع على أن ادريس الثاني فتح باب الفصيل المعروف الآن بباب النقبة بأغلان ، لكن ابن أبي زرع يجعل أغلان أوسع من ذلك ، وينكر أن إدريس فتح في أوله من جهة باب الجيسة باباً آخر أغفله الجزنائي يدعاه باب الفرس ، فيكون أغلان على هذا هو مكان حومتى فندق اليهودي والبلدة الحاليتين .

باب أبي سفيان - اتفق الجزنائي وابن زرع على أن ادريس فتح هذا الباب برأس حجر الفرج ، وزاد ابن أبي زرع انه يخرج منه الى عمارة والى الريف ، وهو أصل باب بني مسافر الذي يعرف اليوم بباب سيدي بوجيدة (انظر حجر الفرج) .

باب افريقية - هو أول باب انشأه ادريس بعدوة القرويين ، ويتفق الجزنائي وابن أبي زرع على أنه فتح برأس عقبة عين علون ، ولكن ابن أبي زرع (ص 22) يقتصر على قوله (وهو أول باب صنع بالمدينة المتكورة) ، بينما يزيد الجزنائي العبارة التالية : (وبه يعرف الآن ، وجدده

هو لانا المستعين ووسعه وذلك في شوال سنة ستين وسبعمئة) . وهذه العبارة
بوقع في التباس ، والمظنون أنها كانت تتعلق بباب آخر فأضيفت خطأ من
المؤلف أو الناسخ إلى هذا الباب ، ولو كان ذلك صحيحاً لما كان الأمر يعنى
بباب بوجلود القديمة (1) ، لأن فاس أخذت شكلها الحالي قبل عصر
الجزنائي بكثير ، وجميع المباني التي أنشأها المرينيون بين عين علون
وقصبة بوجلود معروفة بأسمائها وأعيانها إلى اليوم ، ومن أعظمها المدرسة
البوعنانية ومسجد الشراييين ، أما موقع باب افريقية الذي أنشأه الامام
ادريس فالظاهر انه أصل الباب الصغير الحالي الذي يفصل عقبة الشراييين
عن سوق الطرافين ، وان السور الادريسي كان يمتد يميناً هذا الباب
ويسارته .

باب بني مسافر - باب سيدي بوجيدة الحالي ، وكان في الأول يُدعى
باب أبي سفيان ، ولعل بني مسافر اسم قبيلة أو عشيرة عربية كانت مستقرة
هناك ، فأضيف الباب إليها .

باب الجيزيين - هو باب الحمراء الحالي ، يقع عن يمين الخارج من
باب فتوح ، وهو منسوب إلى قبيلة كانت مستقرة قربه عند تأسيس المدينة ،
أو إلى سكان جيزة وادي فاس ، وكان الباب مفتوحاً وأغلق على ما يقال -
م م خروج الدراس بن اسماعيل منه ميتاً ، يحكى أن جثة الدراس سقطت
عن رؤوس الحاملين لها به ، فرثي في المنام فقال لرائيه : نزلت للنبي صلى
الله عليه وسلم لأنه كان بجنازتي . فأغلق الباب بسبب ذلك .

وكانت وفاة الدراس في ذي الحجة سنة 357 .

باب الحديد - يفهم من كلام الجزنائي أن فاس عرفت أثناء تاريخها
باسم دعي كلاهما باب الحديد ، أحدهما فتحه ادريس قرب عيون ابن
المصادي بين باب السلسلة وباب القلعة ، والثاني هو باب الحديد الحالي الذي

(1) بني باب بوجلود الحالي وفتح سنة 1331 هـ (1913 م) أما باب بوجلود الأصلي فهو الباب
الواقف على يمين الخارج من الباب الكبير الحديث .

فتح فيما بعد ، اما ابن أبي زرع - وهو أقدم منه وأصح منه رواية ، وأهم مصدر ينقل عنه - فلا يفيد كلامه وجود بايّن بهذا الاسم ، وانما باب واحد فقط ، وهو يجعل موقعه بالجرف لا بعيون ابن الصادي أو ابن اللصاد ، ويزيد في تحديد موقعه فيقول انه في أعلا القلعة مما يلي الجرف ، وعيون ابن الصادي أو ابن اللصاد هي في الغالب التي تسمى اليوم (العيون) فقط ، واليها تنسب حومة شهيرة ، أما الجرف فهو المرتفع المطل عليها حيث يقع ضريح سيدي أحمد الشاوي ، وقد كان مدلوله يشمل جميع الأحياء الواقعة خلفه من ناحية الجنوب الغربي . وفي تقديري ان موقع باب الحديد الادريسي كان بمدخل حي العيون الحالي من جهة عقبة سيدي محمد بن الفقيه أو من جهة جزاء ابن عامر .

باب حصن سعدون . لم يذكر الجزنائي هذا الباب مع انه يعتمد ابن أبي زرع فيما يكتب ، ويظهر أنه سها عن بعض الجمل وهو ينقل عنه ، ونص كلام ابن أبي زرع بعد ما ذكر تأسيس ادريس لباب افريقية برأس عقبة عين علون (ثم هبط بالسور على عين دردورة ، حتى وصل به الى عقبة السعتر ، فصنع هناك باباً وسماه باب حصن سعدون ، ثم هبط بالسور الى أول أغلان ، فصنع هناك باباً وسماه باب الفرس) وباب الفرس هو الذي حرف الى باب القوس عند الجزنائي ، وباب حصن سعدون هو أصل باب الجيسة الحالي ، والمكان الذي بُني فيه هذا الباب هو مكان قوس ساباط حومة الحفارين فوق رحبة الزرع القديمة (سلوة الأنفاس 1 : 190) .

باب الخوخة . معروف بهذا الاسم الى اليوم ، وكان في الأصل يدعى باب الكنيسة ، ومنه كان يخرج الى تلمسان ، وقد بناه الناصر الموحّد حين جدد سور المدينة سنة 601 وكانت حارة المرضى خارج هذا الباب ، ثم انتقلوا في زمان المجاعة التي استمرت من سنة 619 الى سنة 637 الى الكهوف القريبة من الوادي بمطامر الزرع وجنة المصاراة الى ان نقلهم العامل إدريس بن أبي قريش عامل يعقوب بن عبد الحق المريني الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج باب الجيسة سنة 658 . وقد أغلق باب الخوخة فيما بعد ، ولم يفتح الا منذ نصف قرن عندما انشئت محطة القطار بباب فتوح ووضع مخطط بناء حومة باب الخوخة والفخارين .

باب الكتبيين - أحد أبواب جامع القرويين ، يلي باب الشماعين من جهة حومة السبيطريين .

باب الكنيسة - باب الخوخة الحالي ، بناه ادريس بكرواوة ، ومنه كان يخرج الى تلمسان وحارة المرضى ، ولم يزل الباب على ما بناه عليه ادريس الأول الى ان هدمه عبد المومن بن علي الخليفة الموحد عند ما فتح فاس وهدم أسوارها سنة 540 فبقي مهدوماً الى ان بناه الخليفة الناصر سنة 601 وسماه باب الخوخة ، ولعل تسميته بباب الكنيسة تدل على سكنى طوائف من النصاري قربه بعد تأسيس فاس .

باب المحروق - باب شهير بفاس يخرج منه الى قصبة الشراردة وظهر الخميس ، كان في الأصل يدعى باب الشريعة ، ولما بناه الخليفة الموحد محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة 600 اتفق ان تار بجبال ورغة ثائر يدعى العبيدي ، فقبض وسيق الى فاس فقتل وعلق رأسه على باب الشريعة في اليوم الذي تم فيه بناء الباب وركب مصراعهُ ، وأحرق شلوه فسُمي الباب من ذلك التاريخ باب المحروق ، ويظن بعض الناس ان باب المحروق سمي كذلك لاحراق أديب الأندلس الكبير محمد ابن الخطيب به ، ووجود ضريحه على بعد خطوات منه ، وليس ذلك بصحيح ، فان الباب سمي بذلك قبل قتل ابن الخطيب واحراق جسده بمئة واربع وسبعين سنة ، وقد اشتهر باب المحروق بكثرة ما كان يعلق فوقه من رءوس الثوار والمذنبين والمغضوب عليهم من السلاطين ، حتى أصبح يقال في فاس (قطع لي رأسي وعلقو فباب المحروق) ، وآخر الرءوس التي علقت عليه رءوس الثوار أصحاب الجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة ، علقت عليه بعد إعدامه واعدامهم سنة 1327 (1909) .

باب المخفية - المخفية حي شهير بعدوة الأندلس من فاس ، وقد اتفق الجزنائي وابن أبي زرع على ان ادريس الأول فتح هذا الباب أمام باب الفرج المعروف الآن بباب السلسلة من عدوة القرويين ، فيكون باب المخفية هو المدخل الحالي لدرب سيدي العواد .

باب المطمر . كانت مطامر فاس توجد خارج سورها الواقع أمام ضريح سيدي بوبكر بن العربي وداخله حيث الهري القديم وساحة ابن البغدادي الجالية . والمظنون ان باب المطمر هو الباب الذي يدخل منه حالياً إلى ساحة ابن البغدادي والذي كان مغلقاً ثم فُتح حديثاً ، أو باب بوجلود الصغير الذي كان يتصل بقصبة الموحدين ، وبالمطامر الواقعة داخل السور .

باب النطاعين . النطع في اللغة بساط الجلد ، والنطاغ صانعه وبائعه ، والنطاعين هو عربي كلمة السبطريين الإسبانية ، وباب النطاعين هو باب جامع القرويين الواقع بأعلا عقبة السبطريين أمام الرحبة التي يلتقي فيها سباط العدول بالقنانيين ، وقد كانت الحوانيت الموجودة بالرحبة المذكورة أمام الباب المذكور لا تباع الا الكتب ، لكن (السبطريين) حلوا محل الكتبيين فيها في السنين الأخيرة بعد ما نقلت الدراسة من جامع القرويين الى معهد الزربطانة وقصبة الشراردة وظهر المهراس .

باب النقبة . معروف بهذا الاسم إلى الآن بعدوة القرويين برأس العقبة المفضية الى قنطرة بين المدن ، وهو من الأبواب التي فتحها الامام ادريس الثاني ، وكان في الأول يدعى باب الفصيل .

باب عجيسة . أنشئ هذا الباب بأعلا عقبة الصعتر في القرن الرابع الهجري ، أنشأه الأمير عجيسة فوق باب حصن سعدون وسماه باسمه لما أدار السور على أرباض المدينة عندما كثرت العمارة بها كما فعل أخوه فتوح في عدوة الأندلسيين ، فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زناتة وطيلة أيام لمتونة إلى أيام الخليفة الموحد الناصر ابن يعقوب المنصور فأمر ببناء سور فاس الذي هدمه جده الخليفة عبد المومن بن علي حين استيلائه عليها ، وصنع في هذا السور باباً كبيراً فوق باب عجيسة القديم وبالقرب منه وترك باب عجيسة على حاله ، ثم أمر بتغيير اسم الباب الذي بناه وترك اضافته الى عجيسة ، فأسقط الناس حرف العين من عجيسة وجعلوا الألف واللام عوضاً عنها فقالوا باب الكيسة كما ينطق بها الآن ، وقيل ان الذي

أمر بتغيير الاسم هو الأمير فتوح لما ظفر بأخيه عجيسة ، ولم يزل هذا الباب على حالته إلى أن دبَّ إليه الخراب في أول الدولة المرينية ، فعرف بذلك أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق المريني وهو مجاهد ببلاد الأندلس ، فنفذ أمره من الجزيرة الخضراء ببنائه واصلاحه ، فجدد جميعه ما عدى القوس البراني فانه وجد صحيحاً فترك على حاله ، وتمَّ ذلك سنة 684 .

باب فتوح - باب شهيرٌ بعدوة الأندلس من فاس ، وهو أول باب بني بها ، كان في الأول يسمَّى باب القبلة ، ولم يزل على حالته التي بناه ادريس الثاني عليها إلى أن هدمه الأمير المصلح دوناس بن حماسة بن المعز ابن عطية الصنهاجي ، فلما توفي في شهر شوال سنة 452 اقتسم ولداه الفتوح وعجيسة ملك فاس ، فكان فتوح بعدوة الأندلسيين وعجيسة بعدوة القرويين ، وحدثت بين الأخوين نفرة فحروب ، فبنى فتوح قصبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان ، وأعاد بناء باب القبلة ونسب إليه فصار يُدعا باب فتوح منذ ذلك التاريخ .

وقد أشار سيدي محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأتفاس (2 : 163) في ترجمة سيدي البناد إلى أن قبره موجودٌ عند قوس باب فتوح الأول الذي سدَّ عن يسار الخارج منه ، فالظاهر أن هذا الباب هو الباب الزناتي الذي حلَّ محلَّ باب القبلة الادريسي ، أما باب فتوح الكبير فهو من عمل الموحدين .

وتجدرُ الإشارة إلى أنه فتح في السنين الأخيرة بابان جديدان عن يسار الخارج من باب فتوح ، أحدهما يسامت شارع الفخارين ، والثاني مجاور لقصبة تمدرت . فهذان البابان فتحا حديثاً ولا علاقة لهما بباب القبلة الادريسي ، ولا بباب فتوح الزناتي .

باب الفصيل - باب أسسه الامام ادريس الثاني بأعلان من عدوة القرويين ، يعرف اليوم بباب النفقة . قال ابن أبي زرع : وهو الباب الذي يخرج منه إلى بين المدينتين (بين المدن) .

باب الفوارة - الفوارة مكانٌ معروفٌ بهذا الاسم الى الآن بأعلا رأس الزاوية من حومة المخفية حيثُ ضريحُ سيدي أحمد بن عبد الله ، ويصرحُ ابن أبي زرع في تاريخه أن هذا الباب الذي أنشأه ادريس الثاني هو الذي صار يُدعى في زمانه باب زيتون ابن عطية ، وأنه مبني (مغلق) لم ينفتح من سنة 620 ، وبما أن زيتون ابن عطية هو الزيتون الواقع ما بين باب الجديد وباب الحمراء داخل السور وخارجَه فلا شكَّ أن الباب المذكور كان يوجد قريباً من الزيتون المذكور ، وقد تكرر بعضُ المؤرخين أن باب الفوارة كان يوجد أمام سور عرصه (الكروني) عند مدخل وادي الزيتون . وفي السور هناك ما يدل على وجوده .

باب القبلة - يعرفُ اليوم بباب فتوح (انظر باب فتوح) .

باب القلعة - ذكر الجزنائي أن ادريس فتحَ هذا الباب بأعلا عقبة الجرف ، فيكون في تقديره هو الباب الذي يخرجُ منه من سيدي احمد الشاوي الى السياج أو باب السياج الفوقي الواقع أمام الزربطانة بين دار عبايو والمسجد . أما ابن أبي زرع فتفيدُ عبارته ان باب القلعة كان أعلا من ذلك .

باب القوس - ذكر الجزنائي أن ادريس الثاني أنشأ هذا الباب بعقبة الصعتر ، فيكون هو باب الكيسة الحالي أو قريباً منه . أما ابن أبي زرع فيذكر أن الباب الذي أسسه ادريس بعقبة الصعتر اسمه باب حصن سعدون ، بينما يجعلُ باب القوس (ويسميه باب الفرس ولعله هو الصواب) باباً آخر أنشأه ادريس بأول أغلان بين باب حصن سعدون (الكيسة) وباب الفصيل (النقة) وعليه فيكونُ موقع باب القوس أو باب الفرس بأخر حومة فندق اليهودي أو بحومة البليدة .

باب السلسلة - ما زال هذا الاسم معروفاً مشهوراً بفاس وان اندثر الباب منذ حوالي ألف سنة ، وكان الباب في الأصل يدعى باب الفرج .

باب الشريعة - هو باب المحروق الحالي ، وقد سمي كذلك في الأول ، لأن به كانت شريعة العيد ، أي المصلي الذي تؤدي فيه صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى ، ثم سمي بعد ذلك بباب المحروق (انظر باب المحروق) .

بابُ الشماعين - أحدُ أبواب القرويين الشهيرة ، ومنه يدخلُ ملوكُ المغرب الآن لصلاة الجمعة به . وهو منسوبٌ الى السوق الواقع أمامه وكان في الأصل يباع فيه الشمع ، ثم تحولَ الى سوق لبيع الفواكه اليابسة مثل الجوز والتمر واللوز والتين والزبيب ، ولكنه بدأ يتحول في السنين الأخيرة الى سوق لبيع الثياب .

بابُ الشيبوية - أحدُ أبواب عدوة الأندلس كان يقع أمام باب الفصيل (النقبة) ، وقد اندثرَ البابُ وبقي اسمُ الحي المضاف إليه ، ذكرَ ابنُ خلدون ان موضعَ الشيبوية كان عند تأسيس المدينة مستقراً لعبدة النار المجوس .

باب الوادي - أحدُ أبواب فاس كان يدخلُ منه الى القصبة الموحدية ربما كان هو الباب الواقع بين قصر البطحاء وباب الشمس الذي يدخل منه الى قصبة بوجلود ، أو باب الشمس نفسه .

بابُ يصليتن - عين يصليتن (ازليتن) حيٌّ شهيرٌ بفاس من عدوة القرويين ، والموقع الذي حدده له الجزنائي ينطبقُ على الحي المذكور (بين باب الكيسة وباب المحروق) ولكن أحداً من المؤرخين غير الجزنائي لم يشرَ الى وجود هذا الباب ، وليس له أثر ظاهر في السور الذي لا يزال قائماً على حاله إلى الآن ، والراجحُ أنه كان باباً صغيراً مفضياً الى بعض دروب ذلك الحي فتح فترة قصيرة من الزمان ثم أغلق ، لكن فتح منذ بضع سنوات بابٌ يفضي الى ذلك الحي عندما شقَّ طريقُ المقطع الجديد بجبل العرض أسفل قلل بني مرين .

برج زيتون ابن عطية - هو برجٌ كان موجوداً بأعلا ارتفاع للسور الجنوبي لعدوة الأندلس ، وقد بناه أميرُ المؤمنين يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 681 وكتب فيه اسمه عندما أمرَ قاضيهِ الفقيهَ أبا أمية ابن الدلاي بتجديد سور فاس الجنوبي فجده من باب زيتون ابن عطية الى باب فتوح . وكان هذا البرجُ الجنوبي يقابلُ في الجهة الشمالية برجَ الكوكب ، ولما شقَّ الطريقُ المعبدُ الحديثُ الرابطُ بين دار الدبيغ وباب فتوح اقتضت الهندسة

أن يمرَّ الطريقُ وسطَ البرج المذكور فمرُّ وبقَى طرفه الأعلى الواقع عن يمين الطالع لباب فتوح منفصلاً عن أسوار المدينة . وقد فقدَ هذا البرجُ أهميته عند ما أنشأ السلطان السعدي أحمدُ المنصور الذهبي بستيون باب فتوح الذي سماه الفرنسيون البرج الجنوبي Borj - Sud .

برجُ الكوكب - هو برجٌ كان يوجد بأعلا ارتفاع للسور بعدوة القرويين وبه يوجد الآن ضريحُ سيدي علي المزالي ، وقد استُغني عن هذا البرج فيما بعد عندما أنشأ السلطان أحمدُ المنصور الذهبي أشهرَ سلاطين الدولة السعدية البرجَ العظيمَ المعروف بستيون باب المحروق ، وهو الذي كان الفرنسيون يسمونه أيام احتلالهم لفاس البرج الشمالي Borj - Nord وأصبح بعضُ المتفرنسين يدعونه منذ أيامهم (برج النور) ظناً منهم أن كلمة النور عربية ، وهي لا تعني غير الشمال باللغة الفرنسية .

برزخ - هو درب سيدي العواد الحالي (سلوة الأنفاس 1 : 307) .

تربية القراقين - سوق المركطان الحالي من قيسارية فاس .

جامع الأشياخ - هو أول مسجد أسس بفاس ، بناه إدريس الثاني برحبة البير ، وهذا المسجد هو الواقع اليوم بأعلا عقبة الصفاح عند بداية طريق سيدي بوجيدة ، ويعرف بالجامع الأنور (جامع النور) .

حجرُ الفرج - مكانٌ واقعٌ بين عقبة الحبيل والجانب الغربي من طريق سيدي بوجيدة والنهر الكبير (وادي بوخرارب) ، وقد كان إلى سنوات قليلة لا توجدُ به إلا الحدائق والجنات ، ثم حولت الآن إلى دور للسكنى وحوانيت للتجارة . ويرأس حجرُ الفرج أسس إدريس الثاني باب أبي سفيان الذي دعي فيما بعد باب بني مسافر ، ثم باب سيدي بوجيدة .

الحرارين - سوق شهير بقيسارية فاس .

حوض السفرجل - نكر الجزنائي أن هذا الحوض كان موجوداً بأعلا الوادي الكبير ، وفي ظني أنه هو الذي أصبح يدعى فيما بعد بوعجارة وبورجوع .

دار القيطون - هي الدار التي بناها ادريس لسكناه بالمكان الذي ضرب به قبطونه عند ما نزل المحل المعروف بالمقرمدة من عدوة اللرويين ، وكانت هذه الدار ملاصقة لمسجد الشرفاء الذي أنشأه ثم أقبر به لما مات ، وقد بقيت الدار مقراً للملك الى انقراض ملك الأدارسة من فاس ، كما بقيت مقراً للشرفاء الأدارسة بعد ذلك الى ان اخرجهم منها بنو مرين في عهد السلطان أبي الحسن أو ابنه السلطان أبي عنان وأنزلوهم في الدار التي يدرب السعود المحبسة على سكنى الضعفاء والمساكين ونفذوا لهم الصدقة التي تجبى لضريح سيدي علي بوغالب عوض صدقة المولى ادريس (سلوة الأنفاس 2 : 19) ، فهذه الدار واقعة اذن داخل الحرم الادريسي ، واليها تنسب فرقة من الشرفاء الأدارسة يعرفون بالقيطونيين .

درب ابن حيون - درب شهير بحومة بوطويل أمام جدار جامع اللرويين ، وكان في الأصل يعرف بدرب الغماري ، ذكر سيدي محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس (1 : 211) أنه منسوب لسيدي محمد بن علي ابن حيون الفاسي داراً الأندلسي أصلاً ، ووصف هذا الرجل بأنه كان من أهل الخير والدين والصلاح واليقين ، وأنه حبس كثيراً من الرباع على مسجد القرويين وغيره ، وكان يسكن بازائه بالدرب المعروف به .

وفي ظني ان ابن حيون المذكور هو محمد ابن حيون ناظر الأحباس الشهير في بداية القرن الثامن الهجري .

رابغة ابن الغرديس - وفي مختصر جنى زهرة الآس المحفوظ بالقصر الملكي تحت عدد 3535 زنقة ابن الغرديس ، وفي النسخة المطبوعة بالجزائر رابطة ابن الغرديس ، وفي ظني ان هذه الألفاظ الثلاثة اما أن تكون معرفة عن (رابطة) واما محرفة عن (تربية) ، وهذه التريبعة أو الرابطة هي الواقعة عن يمين الطالع مع عقبة السبيطريين ، وقد ذكر الجزنائي انها كانت معدة لمن تريد الدخول من النساء مستترة عن أعين الناس للخصومة والتقاضى والأيمان ، ووجد على هامش النسخة المطبوعة بالجزائر ما يلي : رابطة ابن الغرديس هي الخرب التي بها الخرازين الآن ، التي من حساب أحباس المرسلان واولاد الغرديس .

رحبة البير - هي الرحبة الواقعة أمام مسجد الأشياخ بأعلا عقبة الصفاح عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة .

الرميلة - حيّ شهيرٌ بعدوة الأندلسيين ، ما زال معروفاً إلى اليوم بهذا الاسم .

الكذان - حيّ شهير بفاس ما زال يعرف إلى الآن بهذا الاسم .

كهف الوقائين - هو مكان بين المدن الحالي .

كرنيز - حيّ شهير بعدوة القرويين .

كرواوة - حيّ شهيرٌ بعدوة الأندلسيين .

المخفية - حيّ شهيرٌ بعدوة الأندلسيين .

مدرسة الرخام - هي المدرسة المصباحية بحيّ بوطويل من عدوة القرويين ، بناها السلطان أبو الحسن المريني ، وكان أول من درس بها الفقيه مصباح بن عبد الله اليلصوتي المتوفى سنة 755 فنسبت إليه لأجل ذلك .

مدرسة الصهريج - مدرسة مجاورة لمدرسة السبعيين قرب جامع الأندلس بعدوة الأندلسيين .

المدرسة اليعقوبية - مدرسة الصفارين ، وهي أولى المدارس المنشأة بفاس .

المقرمدة - هي المكان الذي نزل به الإمام ادريس الثاني من عدوة القرويين وأنشأ به داره (دار القيطون) ومسجد الشرقاء الذي أقبر به . فيه يقع الحرم الادريسي كله ، وقد اندثر هذا الاسم اليوم ولم يبق له وجود .

مسجد الدراس - معروفٌ بحومة مصمودة من فاس قرب درب ابن بوبكر ، يقال أن قبلته أقوم قبله بفاس .

مسجد الشرفاء - هو المسجد الذي به الضريح الادريسي .

نهر الجواهر - انظر وادي الجواهر .

عقبة الجرف - الجرف هو المرتفع المطل على حومة العيون والوادي الكبير (بوخرارب) حيث ضريح سيدي أحمد الشاوي ، والعقبات التي تُفضي إلى هذا المرتفع ثلاث ، عقبة الفيران ، وزنقة الرطل ، وعقبة ابن صوال ، فلا شك أن واحدة من هذه العقبات كانت تدعى عقبة الجرف في الأول .

عقبة الملاحين - وسماها ابن أبي زرع عقبة الدخان ، وهي واقعة بين حومة كرنيز وجامع القرويين ، وبها تمر قوادر الماء إلى مiazza جامع القرويين مرة بمسجد الشرفاء ، والقيسارية ، فلا شك أنها عقبة سيدي موسى .

عقبة عين علون - هي عقبة الشرايين (انظر عين علون) .

عين حرمال - عين توجد بدرب سيدي موسى قرب دار الدبع ومنها يذهب الماء إلى مiazza القرويين ماراً بمسجد الشرفاء والقيسارية . وقد كتب الاسم في كتب أخرى عين فرمان عين حرمال وعين حرمال ، وسمى ابن أبي زرع هذه العين عين خومان (ص 45).

عين دوردور - كذا كتبت في النسخة الملكية ونسخة دار الكتب المصرية والنسخة المطبوعة بالجزائر ، وكتبت في القرطاس عين درورة ، وفي النسخة الملكية المختصرة عين دروة ، وقد جعلوا موقع هذه العين بين رأس عقبة عين علون وعقبة الصعتر ، ولا تعرف اليوم عين هناك بهذا الاسم ، ويغلب على ظني أنها عين الخيل الحالية أشهر عيون تلك الجهة وأغزرها ماء .

عين علون - عين شهيرة بفاس واقعة أسفل عقبة الشرايين واليها ينسب الشارع الممتد إلى العطارين ، نكر المؤرخون إنها كانت عيناً تحيط بها أشجار الطخش والعليق والكلخ والبسباس وأشجار برية أخرى ؛ وكان الناس قبل بناء المدينة يتحاشونها ولا يمرون بها لالتفاف أشجارها وهدير مياهها وأنهارها ووعورة مسالكها وكثرة الوحوش المؤذية بها ، ووجود

عبد أسود اسمه علون يقطع الطريق بها . كما كان الرعاة يتجافونها بمواشيهم ولا يسلكها الناس إلا جماعات . فأنهت إلى ادريس الثاني خبر علون المذكور حين شرع في بناء مكتبة القرويين ، فأمر بالقبض عليه ، فخرجت الخيل في طلبه وقبضوا عليه وأتوا به إلى ادريس فأمر بقتله ، فصُلب على شجرة كانت على رأس العين ، فبقي مصلوباً حتى تقطعت أحشاؤه وتمزقت أوصاله فسميت العين باسمه منذ ذلك الحين .

وقرب هذه العين أنزل الامام ادريس جماعات من الفرس وردوا عليه من المشرق ، ومنهم بنو ملونة أحد بيوتات فاس في القديم ، وكانت حومتهم تمتد يميناً إلى أول أغلان حيث فتح ادريس هناك باباً سمي باب الفرس (عند الجزنائي باب القوس) .

عين عمير - هي العين التي نزل عليها عمير بن مصعب الأزدي وتوضاً منها وصلى بأصحابه حولها عند ما أرسله ادريس الثاني يرتاد له موضعاً صالحاً لبناء عاصمة للدولة . وما زالت معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ، وهي واقعة في الجنوب الغربي من فاس الحديثة العليا غير بعيدة عن القصبة المعروفة بدار الديبغ .

عين قرقف - ذكر الجزنائي وابن أبي زرع أن ماء خصة القرويين ينصرف إلى ميضاتها وأشار إلى أنها واقعة في جوفي الجامع المذكور ، لعلها عين سيدي طروق .

عيون ابن الصادي - وفي مختصر جنى زهرة الأس المحفوظ بخزانة القصر الملكي عيون الصادي ، وفي القرطاس عيون ابن اللصاد : عيون ماء بعدوة القرويين ذكر الجزنائي أن ادريس الثاني فتح قريبها باباً سماه باب الحديد ، وهو غير باب الحديد الحالي ، وقد ذكر الجزنائي أن تلك العيون تعرف في وقته بعيون الكزارين (أو الكرازين على ما في بعض النسخ ، أو الكوزيين على ما في القرطاس) عندما تكلم على باب القرويين المدرج الذي يفضى إلى رجة الصفارين وجلب الماء لباب الحفافة به من العيون المذكورة ، ولا تعرف اليوم عيون بفاس تحمل هذه الأسماء ، والظاهر أنها كانت بحومة (العيون) الحالية .

فحص سايس - هو السهل الممتد بين فاس ومكناس والواقعة فاس في أقصى طرفه الشرقي ، وهو معروف بهذا الاسم إلى اليوم .

فندق ابن حيون - فندق شهير بفاس ملاصق لدرب ابن حيون من حومة بوطويل بعدوة القرويين .

قنطرة ابن أبي برقوقة - تعرف اليوم بقنطرة الرصيف ، ومنها يدخل إلى حومة المخفية عبر (جزاء برقوقة) ، وقد جدد هذه القنطرة السلطان أحمد بن محمد البرتغالي رابع سلاطين بني وطاس ، وفي تجديدها يقول سيدي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي وكتب في مربعة هنالك :

جسر الرصيف أبو العباس جده	فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفعاً	لمن يمر به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام (غنى)	من هجرة المصطفى المبعوث للناس

قنطرة أبي الرءوس - حي وشارع شهيران بعدوة القرويين .

قنطرة بوطوبة - هي قنطرة باب الجديد ، جدد بناءها أبو سعيد المريني .

قنطرة الرميطة - كانت تقع في نهاية حومة الرميطة من جهة الشرق ، وقد جرفها السيل العظيم سنة 725 فلم تجدد مثل سائر القناطر التي حملها السيل ، أما سبب إهمال بنائها فقد ورد بيانه في العبارة التالية التي ألحقت بمختصر جنى زهرة الآس :

(وبقيت قنطرة الرميطة إلى الآن لم تبني ، وأرجو من الله أن يكون أدهرها لهذا الملك المبارك السعيد ؟ ويجعلها من حسناته التي يبقى أثرها وبصاعف أجرها ، فأنها من الحسنات الطويلة الامتاع ، الكثيرة الانتفاع ، وسبب إهمال الأمراء لبنائها أن أسوار المدينة لما رتب فيها الحفار والسمار هي أيام المخافة وأول هذه الدولة المرينية أبد الله ملكها خرج سور الرميطة في وسط اليهود لعنهم الله واشتهر ذلك بينهم ، فلما تهدمت هذه القنطرة أشاع

اليهود ان بناءها عليهم حسبما عليهم حفارة السور ليغتتموا أن يكون أثرها لهم ويحرموا المسلمين من أجرها ، ولم يستطع اليهود المبادرة لبنائها وقبح على الأمراء أن يكلفوهم بينائها خوف أن يبقى أثرها لهم فأهمل النظر فيها بسبب ذلك ، هكذا تلقيناه من جملة شيوخ فاس) .

قنطرة كهف الوقادين - هي قنطرة بين المدن الحالية . حملها السيل سنة 725 وتطوع ببنائها على شكلها الحالي جماعة من المحسنين .

قنطرة الصباغين - تعرف اليوم بقنطرة الخراشفيين ، وقنطرة ساباط الهيادرين وقنطرة جراء ابن زكون ، وقنطرة الصباغين جرفها السيل سنة 725 وبنائها في شكلها الحالي السلطان أبو سعيد المريني .

قنطرة عذيلة - أو قنطرة عزيلة على ما في بعض النسخ ، لا يعرف اليوم مكان بهذا الاسم بفاس ، يربطها بعض المؤرخين بقصة تمثال الجارية الذي عثر عليه اثناء احتفار اساس دار بها (انظر صفحة 23) .

قنطرة باب السلسلة - هي المعروفة اليوم بقنطرة الطرافين وقنطرة سيدي العواد ، وقد كان السيل هدمها سنة 725 فجدها السلطان أبو سعيد المريني .

قصة الوادي - هي قصة بوجلود الحالية ، كانت في الأصل معسكراً للمرابطين عندما استولوا على فاس ، ثم بناها الموحدون بعدهم وأصبحت مسكن ولاتهم ومركز إدارتهم ، ولما استولى المرينيون على فاس سكنها ملوكهم الأولون قبل بناء دار الملك بفاس الجديد ، وظلوا حتى بعد تأسيس قصورهم يترددون عليها للإقامة بين الفينة والأخرى .

القوراجة - مكان واقع بين باب الجيسة وباب يصلين (ازليتن) بنى سوره علي بن يوسف بن تاشفين ، ولا يعرف اليوم هذا الاسم .

القيصرية - والأصل القيصرية : سوق بيع الثياب . بناها إدريس بجوار داره (دار القيطون) ومسجده (مسجد الشرفاء) بحومة المقرمدة بفاس ، ولا تزال حيث بناها إلى الآن .

الساحل - رصيف الوادي من جانبيه من جهة حومة بو عجارة وحومة بورجوع.

ساقية مصمودة - انظر وادي مصمودة .

السبع لويات - درب شهير بفاس مجاور لجامع القرويين .

سماط الموثقين - يعرف بسماط العدول ، وبالعدول فقط ، وقد ظلّ به الموثقون الى أن نقلوا منه منذ سنين قليلة .

سور زيتون ابن عطية - هو السور الممتد من باب الحمراء الى (نصف قالة) حيث مدخل الوادي الى فاس، ويعرف الوادي هناك الى اليوم بوادي الزيتون .

سوق القراقين - انظر تريعة القراقين .

سوق الشماعين - سوق شهير بفاس بين جامع القرويين والضريح الادريسي ، كان في الأصل سوقاً يباع فيه الشمع كما يدل عليه اسمه ، ثم تحول الاتجار في الشمع الى باب مولاي ادريس وأصبح سوق الشماعين خاصاً ببيع الفواكه الجافة مثل الجوز واللوز والتمر والزبيب والثلثين ، وفي هذه السنين الاخيرة بدأت حوانيته تتحول الى حوانيت لبيع الثياب بالجملة والتفصيل .

الشيوبية - مكان بعدوة الأندلسيين أنشأ به ادريس الثاني باباً كان يقابل باب الفصيل (النقبة) من عدوة القرويين ، وما زال المكان المذكور معروفاً بهذا الاسم الى الان بين قنطرة بين المدن والحدادين . وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه (4 : 26) ان موضع الشيوبية كان بيت نار لمجوس البربر ، فلعل (كهف الوقادين) الذي هو (بين المدن) الحالي له ارتباط بالنار التي كانت توقد هناك .

وادي الجوهر - ويقال وادي الجواهر ، هو (وادي فاس) ينبع من فحص سايس على بعد 14 كلم من فاس ، ثم يأتيها ويدخلها ويتخلل أحياءها ودروبها ممداً بمائه مساجدها وحماماتها ودورها وفنادقها وسقاياتها ومرافقها العمومية . ثم كانت تبقى منه بقية تخرج في ساقية من جهة باب الخوخة فتسقي جميع البساتين والحدائق الموجودة هناك الى قرب نهر سبو .

وقد أطلعني الفقيه السيد عبد السلام ابن سودة رحمه الله على وثيقة منقولة بخط جده السيد المهدي الفاسي ورد فيها أن وادي فاس إنما كان بأجمعه هابطاً ما بين باب الجديد وباب الفرج (السلسلة) ولا شيء لعدوة الأندلس فيه إلا السقي ، ولم يكن موضع المخفية والقلقيين وبعض رأس الجنان وبعض العيون من المدينة بل خارجاً عن السور وليس من حسابها ، ولما اكتست المدينة الحضارة بأجراء الماء الحلو إلى كل دار ورفع الماء لعدوة الأندلس وذلك بأمر يوسف بن تاشفين صار القلقيون والمخفية وما ذكر قبل كله على السقي وكذلك خارج باب الجديد بأجمعه ، فصار الناس من عدوة الأندلس الذين كانوا مستقلين عن الماء كأهل الباب الحمراء وتامدرت وباب بني مسافر يبنون بالجهات الواقعة على الماء بنحو المخفية والقلقيين ، وصار من ورد من الأندلس إنما يبنون بنحو المخفية والقلقيين ، وعليه فالمخفية من عدوة الأندلس قطعاً ، كالأقواس والكذان والرميلة ، وما كان من باب الفرج إلى الجرف إلى الباب الجديد يمينا فهو من عدوة القرويين قطعاً ، والسور زيد فيه وغيره ، والكلام إنما هو في القلقيين وبعض رأس الجنان وبعض العيون ، فمن نظر إلى مصب النهر قبل يوسف بن تاشفين وقد كان بين باب الجديد وباب الفرج فلا يصفهم بأنهم أهل عدوة القرويين ، بل يضيفهم لعدوة الأندلس ، ويقطع النظر عن الشعبة التي بين الناحيتين ، ومن نظر لمبدأ مجرى الماء المضاف بعد فعل يوسف وهو قبل باب الجديد بل وعليه حكم بأنهم لعدوة القرويين ، والظاهر عدم الجزم للتعارض .

وادي حسن . لا يعرف اليوم واد بهذا الاسم بفاس ، كان بأعالي عدوة القرويين ، ربما كان الوادي المعروف اليوم بوادي الفجالين .

وادي مصمودة . ويقال أيضاً ساقية مصمودة - نهير مار بعدوة الأندلسيين منسوب إلى القبيلة التي سكنت هناك عند تأسيس المدينة .

فهرس الموضوعات

صحيفة

أ	تقديم
1	مقدمة المؤلف
	الباب الأول في ذكر مَنْ أسس فاس من الأدارسة الحسنيين ،
4	وما جاء من الثناء عليها وعلى سكانها عن العلماء المرضيين
4	أحاديث وآثار في فضل المغرب.....
6	أقسام بلاد المغرب.....
7	حكم أرض المغرب.....
7	سيدي بوجيدة يخلص أهل فاس.....
8	سبب مجيء البربر إلى أرض المغرب.....
8	عقبه بن نافع يفتح المغرب.....
10	قدوم إدريس الأول إلى المغرب وسببه.....
12	نزول إدريس الأول بوليلة على إسحاق الأوربي.....
12	القبائل البربرية تباع إدريس فيفتح بها المغرب.....
14	إدريس الأول يفتح تلمسان.....
	هارون الرشيد يبعث سليمان الشماخ إلى المغرب ليقتال
14	إدريس الأول.....
15	وفاة إدريس ودفنه.....
15	ولادة إدريس الثاني وكفالة راشد له.....
16	راشد يأخذ البيعة لإدريس الثاني.....
16	خطاب إدريس الثاني بعد مبايعته.....

صحيفة

- 17 العربُ يفدون على إدريس الثاني من إفريقية والأندلس...
- 18 إدريسُ الثاني يرتادُ موضعاً لبناءِ عاصمةٍ لمملكته.....
- 19 شراؤه موضعَ فاس من بني الخير الزواغيين.....
- 19 كُرواوةُ أول مكانٍ نزلَ به إدريس الثاني من فاس.....
- 20 آثارُ واردةٍ في فضل فاس.....
- 20 ترجمةُ دراس بن إسماعيل.....
- 22 إدريسُ الثاني يدعو لفاس.....
- 23 حديثُ إدريس الثاني والراهب.....
- 23 لم سميتُ فاس فاساً؟.....
- 24 شروعُ إدريس الثاني في بناءِ عدوة الأندلس.....
- 25 شروعُهُ في بناءِ عدوة القرويين.....
- 26 إدريسُ الثاني يأمرُ الناسَ بالبناء والغرس.....
- 26 سببُ فرض الجزاء على بعض حوماتِ فاس.....
- 26 إدريسُ الثاني يخطبُ بعدَ بناءِ فاس وسكنى الناس بها....
- خروجُ إدريس الثاني من فاس لغزو مَنْ لم يذعنْ للإسلام
- 27 من البربر على عهده.....
- 27 دخوله تلمسان وبنائُهُ مسجده بحومة أجدير منها.....
- 27 موتُ إدريس الثاني وسببه.....
- 29 تعظيمُ السلطان أبي الحسن المريني للشرفاء.....
- 31 أشعارُ في وصف محاسن فاس.....
- 34 من محاسن فاس وادي الجواهر.....
- 34 صفاءُ ماء فاس وعذوبته ومنافعه.....
- 35 من محاسن فاس وفرةُ المعادن وكثرةُ الخشب والخطب..
- 36 من محاسنها خصبُ تربتها واختصاصُها بالفواكه اللذيذة..
- 36 من محاسنها مجاورتها للحمامات.....
- 36 من محاسنها اعتدال هوائها.....
- 37 أهلُ فاس أقلُّ خلافاً على الأمراء وأكثرُ طاعةً للولاة....
- 37 من محاسنها قُرْبُها من وادي سبو.....
- 39 اجتمعَ في فاس ما ليس في مدينة من بلدان الدنيا.....

صحيفة

- الباب الثاني في ذكر من أدارها بالأسوار وزاد فيها الزيادات.. 40
- لم تزل فاس قاعدة بلاد المغرب..... 40
- في عهد الملوك الزناتيين ضمت الأرياض إلى المدينة
- وبنيت بفاس المساجد والفنادق والحمامات..... 40
- في عهد لمتونة هدمت الأسوار الفاصلة بين العدوتين
- فصارتا مدينة واحدة..... 41
- عبد المومن بن علي يهدم أسوار فاس ويقول : إنما أسوارنا
- أسيافنا وعدلنا..... 42
- يعقوب المنصور يبني ما هدم جده ويبنى قصبة الوادي... 43
- أبواب فاس..... 43
- بلغت فاس في أيام المرابطين والموحدين من العمارة
- والرفاهية والأمن ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب..... 43
- احصاء لمرافق فاس أيام الموحدين..... 44
- بناء جامع القرويين..... 45
- أحمد بن أبي بكر الزناتي عامل فاس يصلح جامع القرويين
- ويوسعه..... 47
- العامل المذكور يضع سيف إدريس بالمنار..... 47
- شعراء فاس يتبارون في وصف سيف إدريس ويعلمون
- وضعه بالمنار..... 48
- الساعات والمنجانات التي يستدل بها على أوقات الصلاة.. 50
- السلطان أبو عنان المريني أول من أحدث (العلام) والفنار
- بصوامع المغرب ليستدل بها على أوقات الصلاة..... 52
- اشتداد بعض الخلفاء على المؤننين..... 53
- منبر جامع القرويين..... 55
- خطباء جامع القرويين من عصر المرابطين إلى عصر
- المؤلف..... 56
- بناء باب الموثقين (العدول) من جامع القرويين..... 65
- زيادة بلاطين في الجامع وفرش صحنه..... 67
- السلطان المرابطي علي بن يوسف يوسع جامع القرويين.. 67

صحيحة

69	الثريا الكبرى بجامع القرويين
70	المستودع والبيلة
70	ميضأة القرويين
74	الباب المدرج المواجه للصفارين
75	الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط
76	خزانة الكتب ، وخزانة المصاحف ، وزاوية القراء
77	أبواب جامع القرويين
78	عدد بلاطاته وسواريه وصباحياته
79	بناء فندق الشماعين
80	عدد المؤننين ، قراءة الحزب ، قراءة كتب الوعظ
81	قبلة جامع القرويين
		حكاية المقرئ الذي كان يقعد الأحداث بين يديه بجامع
82	القرويين
82	قصيدة أبي الحسن بن سبع في ذلك
		مزدوجة مدرك بن علي الشيباني في عمرو بن يوحنا
85	النصراني
92	بناء جامع الأندلس
92	الناصر الموحدي يبني بابه الكبير المدرج
93	عدد بلاطاته وسواريه
94	صومعته وثرياته وأبوابه
94	تدريس العلم بجامع الأندلس
97	خاتمة الكتاب
101	مواقع أسماء الأماكن الواردة في الكتاب
119	فهارس الكتاب

فهرس الاعلام الشخصية (1)

- أ -

ابراهيم بن أبي يحيى التسولي 29

ابقراط 5

أحمد بن ادريس 28

أحمد بن الأشقر الصنهاجي الناظر 76

أحمد بن أبي بكر الزناتي 46 - 47

أحمد الدباغ 49

أحمد الدقون الصنهاجي 65

أحمد بن راشد العمراني 61

أحمد بن أبي زرع 60

أحمد بن عبد المنان 47

أحمد بن سعيد المكناسي 65

ادريس (المثلث) 28

ادريس بن رشيد 49

الادريسي (الشريف) 13

أبو أمية الدلاي (القاضي) 81

الأنفاسي - سليمان بن يوسف 64

أصبغ بن الفرغ (الفقيه) 95

اسحاق الأوربي 12

اسحاق بن عيسى 10

أسد بن الفرات 20

اسماعيل بن الأحمر 49

اسماعيل بن الشريف العلوي 39

الأوزاعي (الامام) 20

(1) لم يثبت في هذا الفهرس اسم (ادريس) لكثرة وروده في جل صفحات الكتاب .

- ب -

البرنسي (محمد بن حمادو السبتى) 23 - 28
أبو بكر بن اللباد 21
أبو بكر الصديق 8
أبو بكر بن العربي 80
البكري - أبو عبيد الله 9 - 15 - 28 - 92
البهلول بن راشد 20

- ت -

التادلي 7
ابن النبان 21

- ج -

جالوت 8
جبر الله بن القاسم الأندلسي 95
الجرجاني 5
الجزولي - محمد بن علي بن عبد الرزاق 64
ابن جلجل 5
الجنباري - عبد الله بن محمد 63
جعفر بن ادريس 28
أبو جيدة 7

- ح -

أبو حامد الغزالي 53
حامد الهمداني (العامل) 46 - 92
ابن الحباك - محمد بن الحباك (المعدل) 50 - 81
ابن حزم 28

حمزة بن ادريس 28
أبو حفص بن أبي سعيد المريني (الأمير) 74
الحسن بن ادريس 28
أبو الحسن بن محمود الصدفي 92
أبو الحسن المريني 29 . 36 . 38 . 62 . 63 . 75 . 80
الحسين بن ادريس 28

- خ -

خالد البربري 10
خالد بن عبد الله 54
ابن الخطيب 33
الخشني أبو ذر 60

- د -

داود (النبي) 8
داود بن ادريس 28
الداودي 7
دراس بن اسماعيل 20 . 21 . 95
ابن الدلاي - أبو أمية (مفضل) القاضي 81
الدقون - أحمد الدقون الصنهاجي 65
دوناس بن حمامة 40
دينار المخزرمي (أبو المهاجر) 14

- ر -

راشد الأوربي 11 . 14 . 15 . 16 . 28
أبو الربيع التلمساني 56
ابن رقيق 4 . 19
الرشيد (هارون الخليفة) 14

- ز -

- ابن أبي زرع - أحمد 60
ابن أبي زرع - علي بن عبد الله 24 - 28
ابن أبي زرع - محمد 80
الزناتي - أحمد بن أبي بكر (العامل) 46 - 47
زياد بن عبد الرحمان 20
زيري بن عطية 54

- ط -

- طارق بن زياد الليثي 9
الطرطوشي 92

- ظ -

- الظاهر لاعزاز دين الله 5 - 6

- ك -

- كنزة (والدة ادريس الثاني) 15

- ل -

- ابن اللباد - أبو بكر 21

- م -

- مالك بن أنس (الامام) 7 - 20 - 83 - 95
المامون الموحّد (الخليفة) 45

- أبو مالك (انظر عبد الواحد المريني الأمير)
المبرد 54
المزياتي 69
المظفر بن المنصور بن أبي عامر 54 - 55
المظفري 11 - 15 - 24
محمد منديل بن أجروم 48
محمد بن ابراهيم المشنزائي 65
محمد بن أحمد ابن وشون 97
محمد بن أحمد بن ميمون الفشتالي 37 - 95
محمد بن أيوب (أبي الصبر) بن يكنول الجناتي 50 - 60 - 69 - 72 - 73
79 - 80
محمد بن ادريس 28
محمد بن جرير الطبري 10
محمد ابن جلال التلمساني 65
محمد الكبير بن محمد ابن جلال التلمساني 65
محمد ابن الحباك (المعدل) 50 - 81
محمد بن حسن بن زيادة الله المزني 57
محمد الحدودي (الوالي) 79 - 80
محمد ابن حيون (الناظر) 75
محمد بن خزر المغراوي 14
محمد بن خلف 69
محمد بن داود 65 - 66 - 67
محمد بن زيادة الله المزني 60
محمد بن أبي زيد القيرواني 95
محمد الماجري 48
محمد بن محمد بن عمران الادريسي 29 - 64
محمد بن محمد ابن العربي 51

- محمد المغيلي 33
محمد ابن المواز 95
محمد الناصر الموحد (الخليفة) 43 - 44 - 47 - 71 - 74 - 92 - 93
محمد بن صخر 66
محمد ابن الصدينية القرطسوني 51
محمد بن عبد الرحمان 48 - 52
محمد بن عبد الرحمان الشبلي 59
محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني 8
محمد بن عبد الله الخطيب 59
محمد بن عبد الله الصنهاجي النطاع 51
محمد بن عبد الله بن سدان 70
محمد بن عبد الله الفهري 45
أبو محمد عبد الغفار 49
محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي 64
محمد بن علي الفخار 49
محمد بن عباد النفري 65
محمد بن عيسى السبتي 65
محمد بن عمران 70
محمد بن أبي قاسم ابن مسونة 93
محمد بن غازي العثماني 65
محمد غازي بن غازي العثماني 65
محمد بن يحيى بن الفتوح المزدغي 61
محمد بن يوسف المزدغي 60
ابن المرحل 70
مدرك بن علي الشيباني 84
مريم الفهرية 45 - 92
المزدغي - محمد يحيى ابن الفتوح 61

- المزدغي - محمد بن يوسف 60
المزني - محمد بن حسن بن زيادة الله 57
منديل - محمد ابن أجروم 48
المنصور بن أبي عامر 7
مصالة بن حبوس 46
معاذ بن جبل 95
أبو مسلم الرقي 6
المستعين (إبراهيم بن أبي الحسن المريني) 30
مهدي بن عيسى 56
موسى بن حسن بن أبي شامة 72
موسى الهادي (ال خليفة) 10
ابن المواز 95

- ن -

- الناصر (انظر محمد الناصر - الخليفة الموحي)
النطاع - محمد بن عبد الله الصنهاجي 51
النفري - محمد بن عباد 65

- ص -

- ابن صاحب الصلاة 80
ابن صخر - محمد 66
ابن الصدينية - محمد القرطسوني 51
الصنهاجي - محمد بن عبد الله النطاع 51
صعصعة بن سلام 21

- ع -

- عائكة (أم إدريس الأول) 11
عامر (أبو ثابت المريني) 93

- ابن عاشر 33
العادل الموحد 45
ابن عباد - محمد النفزي 65
عبد الحق ابن معيشة 42 - 55 - 67
عبد الرحمان بن ابراهيم المشنراني 65
عبد الرحمان ابن مسونة (أبو القاسم) 60
عبد الرحمان المليلي 48
عبد الله بن إدريس 28
عبد الله بن جبير 98
أبو عبد الله بن أبي زرع 80
عبد الله بن مالك المالكي (أبو الحسين) 19
عبد الله بن محمد الجنباري 63
عبد الله ابن محسود الهواري (القاضي) 95
عبد الله بن ميمون الهواري (القاضي) 57
عبد الله بن موسى المعلم 58 - 60 - 65
عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أيوب 64 - 65
عبد الله العبدوسي 65
عبدُ الله بن علي الفارسي 46
عبد الله الفشتالي 59
عبد الله القضاعي 58 - 59
عبد المؤمن بن علي (ال خليفة) 37 - 42 - 68
عبد الملك ابن بيضاء القيسي 55 - 68
عبد الملك المظفر 55
عبد العزيز الورياغلي 65
عبد العزيز البوفرحي 65
عبد العزيز القروي (القاضي) 82
عبد الغفار (أبو محمد الخطيب) 59
عبد الواحد بن أبي الحسن المريني (الأمير) 75

- ابن عبثون 69
العبدوسي عبد الله 65
عبيد الله بن ادريس 28
عبيد الواحد الزيتوني 50 - 52
عثمان بن عفان (الخليفة) 8
عجيسة بن نوناس 40 - 41
علون 25
علي بن أحمد التلمساني 53
علي ابن الحاج 59 - 60
علي الحنودي 74 - 77
علي ابن حرزم 97
علي بن زياد 20
علي بن أبي طالب 8
علي بن محمد 60
علي بن أبي مطر 20
علي بن موسى المطغري 65
أبو علي (عمر) بن عبد الله الباياني 1 - 2
علي بن يوسف بن تاشفين 42 - 55 - 67
علي بن عبد الله بن أبي زرع 24 - 28
علي بن عبد الله السجلماسي 72
علي بن عطية 56
علي ابن القابسي 7
علي ابن سبع 82
عمر بن ادريس 28
عمر بن الخطاب 8
أبو عمران - موسى المعلم 57 - 58
عمرو بن يوحنا النصراني 84
عمير بن مصعب الأزدي 18 - 19
أبو عنان (فارس بن أبي الحسن المريني) 1 - 21 - 37 - 52 - 53 -
63 - 76 - 81 - 94
عقبة بن نافع القهري 38
عياض بن موسى اليحصبي 20
عيسى بن ادريس 28

المغيلي - أبو غالب بن أبي عبد الرحمان 74
المليلي - عبد الرحمان 48

- غ -

ابن غالب - 23 - 27
أبو غالب بن أبي عبد الرحمان المغيلي 74

- ف -

الفارسي - عبد الله بن علي 46
فاطمة الفهرية (أم البنين) 45 - 46
الفتوح بن دوناس 40 - 41
الفخار - محمد بن علي 49
الفندلاوي - محمد بن عبد الكريم 8
أبو الفضل بن باشر 49
الفشتالي - محمد بن أحمد بن ميمون 37 - 95
الفشتالي - عبد الله 59

- ق -

ابن القاضي 8
القاسم بن ادريس 28
ابن القاسم 7
أبو القاسم ابن جنون 45
أبو القاسم بن حمد 70
أبو القاسم بن محمد 57
أبو القاسم بن محمد المزدغي 60
القرطسوني - محمد بن الصدينية 51
القروي - عبد العزيز (القاضي) 82

القضاغي - عبد الله (الخطيب) 58 - 59
القيرواني - محمد بن أبي زيد 95

- س -

سحنون 20
ابن سدان - محمد بن عبد الله 70
سليمان بن جرير 14
سليمان بن يوسف الانفاسي 64
سعد بن أبي وقاص 4
سعيد الكخاد 50
أبو سعيد المريني 15 - 34 - 41 - 42
سفيان بن عيينة 4

- ش -

الشاطبي 84
أبو شامة بن عبد العزيز بن إبراهيم 65
الشلبي - محمد بن عبد الرحمان 59

- ه -

هشام بن عبد الرحمان (الخليفة) 21

- و -

الوراق 27
الورياغلي - عبد العزيز 65
الوليد بن عبد الملك 9
ابن وشون - محمد بن أحمد 97

- ي -

- الياباني - أبو علي بن عبد الله (الوزير) 1 - 2
يحيى (أبو زكرياء الموحد) 93
يحيى بن إدريس 28
يحيى بن محمد بن إدريس 45 - 46
يحيى بن محمد السراج النفزي 65
يحيى بن عبد الرحمان ابن الفتوح المزدغي 61
أبو يحيى العتاد 55
يخلف الأوزبي (أبو خزر) 56
يزيد بن معاوية 8
أبو يعقوب المريني (السلطان) 69 - 74 - 79 - 93
يعقوب المنصور 43 - 44
يسكر بن موسى الجوراني (أبو محمد) 56 - 57 - 58 - 70 - 71 - 72 - 77
يوسف بن تاشفين 42
يوسف بن محمد ابن النحوي 76 - 97
أبو يوسف بن عبد الحق المريني 25 - 73 - 81
يوسف بن عبد المومن 80
يوسف بن عمر الانفاسي
يوسف الفندلاوي 65

فهرسُ الأعلام الجنسية

. أ .

بني أحمد 17
الأزد 17
(بني) أمية 8
الأفارقة 8
أهل الأندلس 20
أهل ماسة 8
أهل الصين 6
أوزبة (انظر وربة)

. ب .

البربر 8 - 9 - 12 - 15 - 17 - 19 - 18 - 38
برغواطية 13
بني بشير 17

. ت .

(بني) تاشفين 10
الترك 6
(أولاد) تعلقو 12
تغزوت (انظر غزاوة)

. ج .

بني جرير 17

- ح -

الحبش 6

- خ -

(بني) خالد 17

الخزرج 18

(بني) خلفي 2

(بني) خنوس 17

(بني) الخير 19

- ذ -

(بني بو) ذرة 17

- ر -

(بني) رزين 17

الروم 6 - 8 - 96

الرومان 13 - 14

- ز -

(بني) زجل 17

الزرقات 17

زناتة 16 - 19 - 40 - 46 - 55

زواغة 19

بني زيات 17

- ك -

كتامة 17
(بني) كرماط 2

- ل -

لمتونة 40 - 42

- م -

المرابطون 43
(بني) مرين 14
(بني) منصور 17
الموحدون 40 - 43 - 56 - 57

- ص -

الصدف 18
صنهاجة 17
صنهاجة الظل 17
صنهاجة مصباح 17
صنهاجة غنو 17
صنهاجة السراير 17
صنهاجة الشمس 17

- ع -

(بني) العباس 10
(بني) عبد الواد 14
العبيدين 5
(بني) عزم 2
(بني) علي 2
(بني) عيسى 2

- غ -

غزاوة (تغزوت) 17
غمارة 17

- ق -

القبط 12
القيسية 17

- س -

(بني) سدات 17
(بني) سدر 61
(بني) سلمان 17

- ش -

(بني بو) شيبة 17

- ه -

هواره 46

- و -

(بني) واريثن 38
وربة (أوربة) 16 - 95
بني ورنكال 2

- ي -

(بني) يابان 2
(بني) يازغة 70
(بني) يحصب 18
(بني) يزغتن 19
(بني) وليد 17
اليونانيون 5

فهرس

الاعلام الجغرافية والمحلية (1)

- أ -

أمل 10
أوتان (جبال) 6
أرض مصر 7
أرض فلسطين 8
أزمور 32
أجدير (حومة بتلمسان) 27
الأنلس 17 - 21 - 75
أغلان 25
أغمات 27
إفريقية 14 - 17 - 21
الاسكندرية 20 - 21
إشبيلية 6

- ب -

باب أبي سفيان 24
باب إفريقية 25
باب بني مسافر 7 - 43 - 95
باب الجيزيين 21 - 43

(1) لم يثبت في هذا الفهرس الاعلام التي تتكرر بكثرة كفاس وعدوة الأنلس وعدوة القرويين .

- باب الحديد 25 - 43 - 93
باب الحمراء 21
باب الخوخة 24 - 43
باب زيتون بن عطية 43
باب الكنيسة 24
باب المخفية 24
باب المحروق 43
باب المطمر 43
باب النقبة 24 - 25
باب عجيسة (الكيسة) 8 - 41 - 42 - 43 - 96
باب فتوح 43
باب الفرج 24 - 25
باب الفصيل 25
باب الفوارة 24
باب القبة 24 - 25
باب القلعة 25
باب القوس 25
باب السلسلة 66
باب سيدي بوجيدة 7
باب الشريعة 25 - 43
باب الشماعين 65
باب الوادي 43
باب يَصْلِيْتَن 43
بابل (أرض) 5 - 6
البحر الأندلسي 8
البحر الأعظم 6
برج الكوكب 25
برقة (جبال) 6

بلاد البربر 6
بغداد 6 - 14
بومارية 14
بيت المقدس 88

- ت -

تادلة 13
تامسنا 12
تاهرت 6 - 8
تربية القرايين 77
تلمسان 14 - 27 - 62
تهودة 8

- ج -

جبال بني يازغة 35 - 70
جبل بني بهلول 35
جبل الفتح 75
جزيرة الأندلس 6
جزيرت العرب 6

- ح -

الحبالات 37
حجر الفرج 24
حمة أبي يعقوب 36
حمة خولان 36
حمة وشتانة 36
حمص 33
حوض السفرجل 41

- خ -

خرسان 13

خنيقرة 13

- د -

دار القيطون 19 - 25

درب السبع لويات 77

درن 6

- ذ -

ذو طوى 10

- ر -

رحبة البير 25

الرمادة 21

الرميلة 41

- ز -

الزاب 8

زالغ (جبل) 18

زرهون (بلد) 12

زيتون ابن عطية 24 - 45

- ط -

طنجة 7 - 9 - 12

- ك -

كاف الغار 17
الكدان 41
كهف الوقادين 41

- ث -

ثُرْنِيز 71
ثُرْوَوة 19 - 24

- م -

ماسة 6 - 8 - 13
مجشر الشاطبي 35
المخفية 24
مدرسة الرخام 37
مدرسة الصهريج 37
المدرسة اليعقوبية 81
المدينة المنورة 10
مراكش 40 - 57
مرسية 6
المرية 6 - 37 - 38
مكة 10 - 80 - 81
مكناسة الزيتون 96
مكس (وادي) 35
منصورة تلمسان 62
منزل أولاد محبوبة 37
منزل خولان 37 - 38
المصامدة (بلاد) 27

مصر 6 - 11

معمورة سلا 37 - 38 - 39

المهدية 38

- ن -

نفوسة (جبال) 6

نقيس 27

نهر النجوه 34

- ص -

صحراء المرابطين 6

صقلية 8 - 97

- ع -

العرائش 37

عقبة الجرف 25

عقبة الصعتر 41

عقبة عين علون 25

عقبة الملاحين 72

عين جرمال 71

عين عمير 18

عين قرقف 73

- غ -

غرناطة 6

- ف -

فازاز (بلاد) 38

فنج 10 - 11^{هـ}

فزان 8

فلسطين (أرض) 8

فندق ابن حيون 77

فندق الشماعين 79

الفوارة 24

- ق -

قرطبة 42

قنطرة أبي طوبة 41

قنطرة أبي برقوقة 41

قنطرة باب السلسلة 42

قنطرة الرميعة 42

قنطرة كهف الوقادين 42

قنطرة الصباغين 42

قنطرة عديلة 23

القصبية 43

قصبية الوادي 43

قصر عبد الكريم (وادي) 37

قصر فرعون 12

القوراجة 42

القيروان 6 - 8 - 21 - 45 - 95

- س -

ساف 23 - 24

ساقية مصمودة 92

سايس 18 - 26

سبتة 6 - 9

سبو (وادي) 18 - 26 - 38 - 39

سجل ماسة 72 - 76

سماط الموثقين 64

سوق الحرارين 72

سوق القراقين 72

سوق القصر 53

السوس الأقصى 6

- ش -

شالة 13

الشام 6 - 8 - 13

الشيوبة 24

- ه -

الهند 13

- و -

وادي حسن 55

وادي مصمودة 92 - 93

وادي فاس 37

وجدة 14

وهران 14

- ي -

وليلة 12 - 14 - 15 - 16 - 18

اليمن 6

فهرس الكتب

أ -

- أحياء علوم الدين - لأبي حامد الغزالي - 81 - 96
أخبار الرسل والملوك - لمحمد بن جرير الطبري - 10
أزهار الرياض ، في أخبار القاضي عياض - لأحمد المقرئ التلمساني - 20
الأموال - لأحمد الداوودي - 7
الأنيس المطرب ، بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس - لعلي بن عبد الله بن أبي زرع - 11 - 15 - 24
- 27 - 28 - 45 - 65 - 66 - 68
الأنيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب - لمحمد بن الطيب
العلمي - 84
الإعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام - للعباس بن إبراهيم
التعارجي المراكشي - 27
أعلام النبوة - لأبي عبيد الله البكري - 9
أعيان النبات - لأبي عبيد الله البكري - 9
الاستبصار ، في عجائب الأمصار - لمؤلف مجهول - 8 - 24 - 27
الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى - لأحمد بن خالد الناصري - 9

ت -

تاريخ ابن غالب - 23

تاريخ إفريقيه والمغرب - لابراهيم بن الرقيق القيرواني - 4
تاريخ فاس - لأبي القاسم ابن جنون - 45
تذكرة الخواص - ليوسف سبط ابن الجوزي - 11
ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، في معرفة أعلام مذهب الامام مالك -
للقاضي عياض - 20 - 22 - 95
التشوف ، الى رجال التصوف - ليوسف التادلي المعروف بابن الزيات -
56 - 95 - 96
تفسير القرآن - للثعلبي - 80

- ج -

جامع البيان ، في تفسير القرآن - لمحمد بن جرير الطبري - 10
جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس - لأحمد بن أبي العافية
المكناسي المعروف بابن القاضي - 20 - 29 - 32 - 48 - 49
95 - 97
جغرافيا - 6

- ح -

حلية الأولياء - لأبي نعيم - 80

- د -

الدر النفيس ، والنور الأنيس ، في مناقب الامام ادريس بن ادريس -
لأحمد ابن عبد الحي الحلبي الفاسي - 11
درة الحجال ، في غرة أسماء الرجال - لأحمد بن أبي العافية المعروف
بابن القاضي - 29 - 32 - 48
دليل مؤرخ المغرب الأقصى - لعبد السلام ابن سودة - 45
ديوان الصبابة - لابن أبي حجلة التلمساني - 84

- ر -

روضة النسرين ، في دولة بني مرين - لاسماعيل ابن الأحمر - 1

. ط .

طبقات الأطباء . لسليمان ابن جلجل الأندلسي - 5

. م .

المدهش - 6

المدونة - 82 - 85

ملخص الموطأ - لعلي بن القاسي - 7

مصارع العشاق - لجعفر السراج القاري - 84

معجم الأدباء - لياقوت الحموي - 4

معجم ما استعجم - لأبي عبيد الله البكري - 9

المغرب - للبرنسي - 5

المغرب ، في ذكر إفريقية والمغرب - لأبي عبيد الله البكري - 9

المقباس - للوراق - 27 - 40 - 42 - 65 - 66

المقتبس ، في أخبار المغرب وفاس والأندلس - لمحمد بن حمادو البرنسي

السبتي - 5 - 46

المقصد الأسنى ، في شرح أسماء الله الحسنى - لأبي حامد الغزالي - 53

الممالك والممالك - لأبي عبيد الله البكري - 9

المستفاد ، في مناقب الصالحين والعباد ، من أهل مدينة فاس وما والاها

من البلاد - لمحمد بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني - 7 - 8 - 22

مستودع العلامة ، ومستبدع العلامة - لاسماعيل بن الأحمر - 32

المسند الصحيح الحسن ، من محاسن مولانا أبي الحسن - لمحمد ابن

مرزوق التلمساني - 1 - 29

نظم الدر والعقيان ، في بيان شرف بني زيان ، وفن ملك من سلفهم

الأعيان ، فيما مضى من الأزمان - لمحمد بن عبد الله بن

عبد الجليل التنسي التلمساني - 11

النهي عن الحوادث والبدع - للطرطوشي - 92

نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج - لأحمد بابا التنبكتي - 56

العمدة - لابن رشيق - 4

سلوة الأنفاس ، ومحادثة الأكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء

بقاس . محمد بن جعفر الكتاني . 7 . 56 . 95

شرح الأمالي . لأبي عبيد الله البكري . 9

شرح موطأ مالك . لعلي بن القاسمي . 7

الشفاء ، بتعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض . 20 . 81

